تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

دلالة تنزيل الماء على عظمة الخالق في الإحياء والإماتة والبعث

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى 4

لوموا أنفسكم ولا تلوموا غيركم

المفضل فلواتي رحمه الله تعالى 2

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المدير المؤسس
المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

المحجة

جامعة نصف شهرية

العدد : 381

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

13 رجب 1433هـ – 4 يونيو 2012م

3 دراهم

افتتاحية

العلماء بين التشريف والتكليف

إن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الخلق وتفضل فأكرم المخلوقات بأنواع كثيرة من النعم شاءت حكمته أن يخص أمة الإسلام بأجل نعمة، وأفضل إكرام بإنزال القرآن الكريم على من بعثه رسولا يتلوه عليهم ويبينه بالقول والفعل والتقرير. والقرآن الكريم هو كتاب الله المهيمن على كل الكتب التي سبق نزولها. ودين الله سبحانه الذي هو الإسلام والذي دعا إليه كل الرسل السابقين قد أتمه الله تعالى وأكمله وبلغ غايته وسموه فيما أنزل على محمد ﷺ، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(المائدة :3) أي رضيت لكم الإسلام كما هو على هذه الصورة وعلى هذا الشكل وعلى هذه الشرائع والقواعد والمبادئ والقيم والأخلاق والوصايا، دينا تتميزون به وتنفردون به ، وهو الطريق القويم الصحيح المستقيم المحقق للعبادة الحقة والطاعة الخالصة الموصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى وهو طريق النعيم والسعادة في الدنيا والآخرة.

إن هذه الحقيقة ينبغي أن تستقر في ذهن كل مسلم ، وأن يكون واعيا بها، وأن يقدرها حق قدرها، وأن يُربَّي عليها كل فرد منذ صغره ويتلقاها من أبيه وأمه، ويتلقاها أبناؤنا ويتعلمون دينهم بفهم وإدراك سليمين، وأن يتواصى المسلمون بها بينهم ، وأن يستحضر المسلم في قلبه وضميره تميزه من غيره في إيمانه وشريعته من قوله سبحانه: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾(سورة الكافرون).

وقد علم المسلمون من خلال النصوص الشرعية أن هذا الدين المتميز الذي هو الطريق الصحيح المقبول للإيمان ولعبادة الله الخاصة والعامة: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾(آل عمران: 19)، ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾(آل عمران:85)، يتطلب العلم به، وعبروا عن ذلك بقولهم: إن الله لا يعبد إلا بعلم.

إذ لا يخفى على أحد من أبناء أمة الإسلام أن ديننا قد رفع راية العلم عالية، وجعله أساس تشريف الإنسان منذ خلقه، فقد علم سبحانه آدم الأسماء كلها فبان فضل الإنسان بهذا الشرف فقامت به الحجة على الملائكة

البقية ص 2

التوظيف المقاصدي في القضايا الطبية الراهنة

زراعة الأعضاء البشرية

الدكتور العلامة محمد التاويل 8

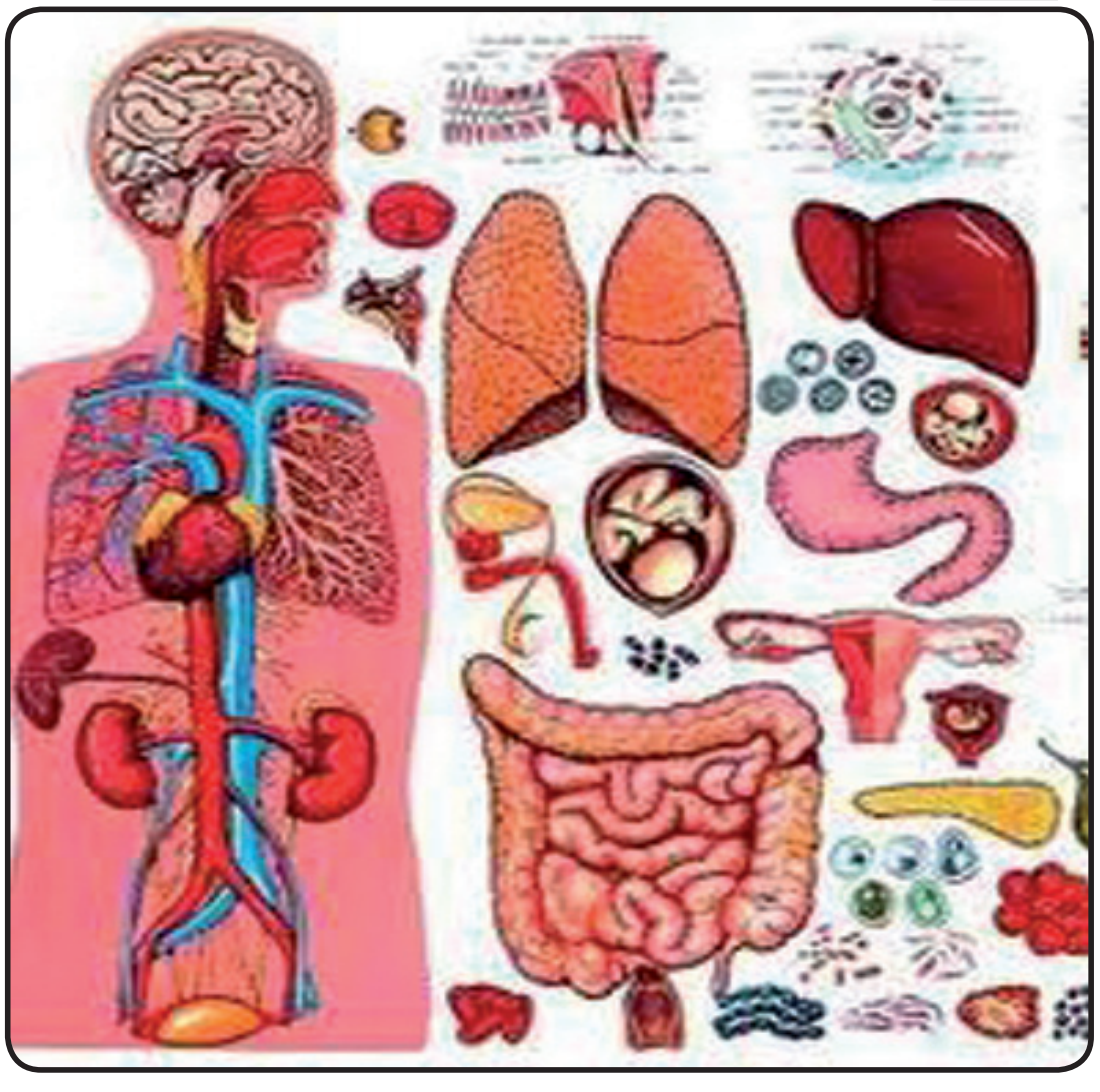

- فارس الإفتاء.. يرحل إلى دار البقاء 9-10
- العلامة الغازي الحسيني : المادة والدرس والتدريس
- فقد العلماء من غير إعداد الخلف خسارة وأي خسارة؟!
- الكل يبكيك يا أحمد (شعر)
- العلامة الغازي وركن بناء المجتمع 3

افتتاحية (تتمة)

فاستجابوا راضين مطمئنين ومسارعين إلى أمر الله بالسجود لآدم سجود اعتراف وتكريم وتقدير لمنزلته التي وضعه الله فيها، فقد فهموا أن تعليم الله تعالى للإنسان وقبول الإنسان لهذا العلم وتحمله له هو الذي يبوئ الإنسان شرف خلافة الله في الأرض، ويجعله قادرا على تعميرها، ويستطيع تحقيق مراد الله سبحانه من خلقه وجعله خليفة في الأرض وتعميرها وفق ما علمه الله جل وعلا.

وجوهر ما يستفاد من ذلك أمران :

الأول : أن ما اكتسبه الإنسان من العلم الإلهي هو تشريف له من جهة وتكليف له من جهة أخرى، فبه ارتفعت قيمة الإنسان ونال حظوة عالية ومنزلة رفيعة، فانضم إلى صف المخلوقات المهمة. إلا أن هذا المقام الذي بلغه الإنسان يقتضي الشكر لله بتنفيذ ما خلق من أجله من الخلافة في الأرض على مقتضى إرادة الله خالقها وخالقه.

الثاني : أن حكمة الله سبحانه ولا شك اقتضت أن يخص هذه الأرض التي سيعيش عليها الإنسان حاملا لأمانة الله تعالى بخصوصيات تنفرد بها في طبيعتها ومكوناتها وجمالها وتنوعها فتكون مستعدة لاستقبال الإنسان وتهييء الظروف الملائمة لحياته وسيادته على الأرض:" هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا﴾(البقرة 29). ولذلك فتعمير الأرض على الوجه الصحيح، وعلى الوجه المراد ليس بالأمر الهين، وإنما يحتاج إلى مخلوق مزود بطاقات وقدرات ذاتية في هيئته وشكله ومكوناته، وإلى قدرات معنوية ونفسية وفكرية وعقلية، وكل هذه القدرات الذاتية والمعنوية هي التي تمكن الإنسان من استيعاب العلم من جهة، ومن تنفيذ مقتضياته من جهة أخرى. وبذلك نعلم أن العلم هو الطريق الصحيح والأساس لتعمير الأرض أي لقيام الحضارة على الأرض بما يرضي الله تعالى واستمرار الوجود الإنساني فيها إلى ما شاء الله تعالى. لهذا نوه ديننا الإسلامي الحنيف بالعلم وأهله بقوله سبحانه: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(الزمر: 9)، وقوله: ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾(المجادلة:11) ، وقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء».

وخير ما يورثه من كان عالما العلم، وذلك لكثرة ورثته، وأثره في الناس مستمر لأنه يضيف بأبحاثه ثمرات إلى شجرة العلم أما المال فورثته قليل عددهم ومعرض للزوال.

وقد تربى المسلمون طيلة تاريخهم خصوصا في عصور قوتهم وعزهم وازدهارهم على فهم هذه الحقيقة، وهي حاجة الأمة باستمرار إلى العلماء فكانت الأسر تدفع بأبنائها إلى طلب العلم، وكان الطلبة يرابطون من أجله ويلازمون أساتذتهم وشيوخهم، وكان توقير العلماء واحترامهم شائعا في المجتمع الإسلامي بشتى مكوناته بين الحكام والأمراء والوجهاء، وبين التجار والصناع ، وبين الكبار والصغار.

وفي الفترات والبلاد التي ضُيِّع فيها العلم واستهان الناس به وبأهله ولم ينقادوا للعلماء المصلحين أصيبوا بالفتن وضياع الأموال والأنفس وتسلط أعداؤهم عليهم.

ونحن الآن في عصرنا وواقعنا نرى أنواعا من التناقض:

فبينما نجد انتشار المدارس والمعاهد والجامعات وكثرة المتعلمين والمتمدرسين ، ونرى حركة مباركة في مجال الاهتمام بالتعليم الديني والشرعي، والعناية بتنظيم الشأن الديني ، وتقام الندوات العلمية في ربوع البلاد في قضايا وموضوعات هي من صميم الإسلام ويكثر كل ذلك في شهر رمضان وعلى أعلى مستوى.

نرى وجها آخر لا يرضي الله جل وعلا ولا يرضي الغيرة الدينية ولا يتناسب ولا يتوافق مع الشرع، فيه انحراف أحيانا قد يكون صارخا عن الدين وأخلاقه ومتطلباته، يحدث ذلك ليس في الشارع فقط، وإنما يظهر على يد وسائل الإعلام وعلى شاشات التلفزة التي تمنح كثيرا من الوقت والبرامج لتقديم عروض مبالغ فيها من اللهو والغناء بأنواعه ومتابعة المهرجانات الغنائية ومسلسلات يمتد وقت عرضها أحيانا أكثر من سنة، ومباريات (شوت لي نشوت لك) وما أكثرها تشغل أطفالنا وشبابنا عن العناية بدروسهم وواجباتهم وهم منقسمون فيما بينهم لمن يتحمس لنصرة وتشجيع ومتابعة هذا الفريق وآخرون لفريق ثان (خاصة فريقي البارصا والريال الإسبانيين)، كما يحفظون أسماء اللاعبين، وقد يشاركهم آباؤهم في ذلك ويعتبرون ذلك مفخرة لهم وميزة لأبنائهم في حين أن الأوقات تضيع بسبب ذلك وتملأ الذاكرة بما لا ينفع وتشغل النفس بما لا ضرورة له، وينتج عن ذلك هبوط في المستوى التعليمي والتربوي. وتُرتَّب بسببه عالميا في أدنى الدرجات. لا نصيب يذكر في الذاكرة الجماعية للعلماء السابقين واللاحقين ولا للشخصيات المهمة التي مرت في التاريخ الذهبي القديم والحديث الذين يعتبرون مصدر فخر واعتزاز من الذين بنوا أمجاد هذه الأمة بزرع روح الثقة والصدق وتفانوا في رص وحدتها والحفاظ على سيادتها وهويتها، وواجهوا الأعداء وحققوا النصر والحرية.

هذا التناقض الحاصل في واقعنا - والبلاد هي بلاد الإسلام وأهلها لا يشك في إسلامهم يرتادون المساجد، وشهر الصوم موقر عند عامتهم،ترى مظاهر الصبر على وجوههم وهم يتسابقون إلى تسجيل أسمائهم في اللوائح المتعلقة بقرعة الحج ومشاركتهم في البر والإحسان ودعم الجمعيات ملحوظ- أيكون سبب هذا التناقض راجعا إلى ما خلفه التخطيط الاستعماري في واقعنا وفي ثقافتنا وعاداتنا، وأننا لم نستطع أن نتخلص ونتحرر من هذا الاستعمار وممن تشبعوا بثقافته والتبعية له وكان لهم وزن في وضع المخططات التربوية والتعليمية والتشريعية والإعلامية وتحكموا في مراكز القرار راكبين موجة الحداثة والعلمانية فأعاقوا مسيرة الإصلاح وعودة الأمة إلى أصولها وهويتها؟ أم يعود ذلك إلى أن العلماء لم يقوموا بالدور الذي كان ينبغي عليهم القيام به فلا يستطيعون تغيير المنكر في درجته الثانية التي هم مسؤولون عنها بالنص" فمن لم يستطع فبلسانه"؟ أم أنهم لم يفسح لهم المجال بالشكل الذي يتيح لهم وييسر لهم المشاركة الفعالة والتعبير الصريح وإذا ما جهر أحدهم بالحق الواجب عليه شرعا فإن مصيره لا يكون إلا الإبعاد والإقصاء؟

إن الأمة اليوم بحاجة ماسة لعودة العلماء لمراكز قرار تدبير الشأن العام للأمة تشريفا لهم وتكليفا كما شرفهم الله تعالى بذلك وكلفهم.

والأمة بحاجة إلى ربط ذاكرتها التاريخية وربط الأجيال بهذا التاريخ، وربط مؤسسات البلاد جميعها بهذه الخدمة لما في ذلك من ضمان استمرار الدين وتحصين هوية الأمة واستعادتها للمكانة التاريخية التي تشرفت بها بلادنا عبر التاريخ.

لُومُوا أنفسكُم ولا تَلُومُوا غيرَكُم

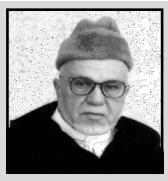

المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

تتنزّلُ الضرباتُ الربانيةُ مباشرة يوم يعجزُ عبادُ الله الصالحون تمام العجز عن إيقاف الطغيان، والحدِّ من كثرة الفساد والإفساد وإهلاك الحرث والنسل، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية :

أ- عندما عجز سيدنا نوح عليه السلام عن مقاومة من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكْرا كُبّاراً، دعا ربّه : ﴿أنِّي مغْلُوبٌ فانْتَصِرْ﴾ فكان الجواب من العزيز الجبار ﴿فَفَتَحْنَا أبْوابَ السّماءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وفَجَّرْنَا الأرْضَ عُيُوناً فالْتَقَى المَاءُ على أمْرٍ قَدْ قُدِرَ وحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كان كُفِرَ ولَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُرِ﴾(القمر : 15).

ب- عندما عجز لوط عليه السلام، وقال لقومه المفسدين ﴿لَوْ أنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ قال له الملائكة : ﴿يَا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ولا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحَدٌ إلاّ امْرَأتَكَ إنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أصَابَهُمْ إنّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ..﴾(هود : 80) وفي الصبح جاء التدمير الرباني الذي طوى المجرمين طيا.

نكتفي بهذين المثالين ونتساءل : لماذا أصبحت أشْرَفُ أمة تُكال لها الضرباتُ تلْوَ الضّربات من كبار المجرمين بدون أن تثير شفقة أحد أو تستجلب عطفاً يُعتدُّ به في المحافل الدولية، مع أن الله تعالى يقول بعد نصره للمسلمين في بدر ﴿ذَلِكُمْ وأنّ اللَّهَ موهّنُ كَيْدِ الكَافِرِين إن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ وإن تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وإنْ تَعُودُوا نَعُدْ ولنْ تُغْنِيَ عَنْكُم فِئَتُكُم شَيْئاً ولوْ كَثُرَتْ وأنّ الله مَعَ المُومِنِين﴾(الأنفال : 29).

السبب يكمُن في أن المومنين من عهد نوح إلى محمد عليهما وعلى باقي الرسل السلام، قاموا بالواجب تجاه الرسالة التي كُلِّفوا بها خير قيام، وأصاب الوهن مسلمي أشرف أمة حيث تخلّوا عن رسالتهم، وأصبحوا يلهثون وراء (الآخَر) فكراً وثقافة وسياسة واقتصاداً وأسرة وعادة وتنميطاً لكل أشكال حياتنا كأننا لا رسالة لنا في هذه الحياة، بل غلا البعض من المتهافتين غُلوّاً كبيراً عندما بدأ يُعلن اعتزازه بالمروق والفسوق، ويتبرأ من هويته وكيانه ليحرز على الرضا من البشر، وجواز المرور إلى صَفِّ عُبّاد العجل والبقر ضاربين عرض الحائط بقول الله تعالى : ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولا لِلْقَمَرِ واسْجُدُوا للّهِ الذِي خَلَقَهُنّ إنْ كُنْتُم إيّاهُ تَعْبُدُون﴾(فصلت : 36).

أفنعجب من الخيْبات التي نُصدَم بها في كل ميدان ونحن الذين أمرنا الله عز وجل بالاتحاد فتفرقنا، وأمرنا بالاعتصام بحبله وكتابه فاعتصمنا بمناهج الكفر وأهوائه، وأمرنا بابتغاء الآخرة فآثرنا الدنيا على الآخرة وعبَدْنا التّراب وتركنا اللّباب، وأمرَنا أن نكون أساتذة وأئمة نهدي البشرية بالحق ونعدل به، فتنكّرْنا للشرف الذي أُنيط بنا وآثرنا أن نكون أذيالا لدَوابّ الأرض وأنعامها؟! من الملوم فيما وصلنا إليه من تردٍّ سحيق؟؟! المجرمون الذين وجدوا فراغاً لدينا في كل زاوية من زوايا كياننا فملأوه؟؟ أم جهالتنا بديننا وواقعنا وسُنَنِ ربنا؟؟ أم أهواؤنا التي حذّرنا الله تعالى من اتباعها؟؟ أم شياطيننا التي أخبرنا الله تعالى بأنها عدوّةٌ لنا حتى لا نستكين لمكرها؟؟.

الحقيقة المُرة هي أن اللوم لا يقع على أحد، وإنما يقع على أنفسنا بالدرجة الأولى، ومتى ما رجعنا إليها بالفحص والنقد والتوبة والإنابة وتصحيح الأخطاء كان الله معنا بالنصر والتأييد وتوهين كيد الكافرين.

إن تعليق أخطائنا على مشاجب الغير لا يفيدنا لا دنيا ولا أخرى، حتى الشيطان سوف يتبرّأ منّا يوم تُنصب الموازين الحق ويقول لنا : ﴿فَلاَ تَلُومُونِي ولُومُوا أنْفُسَكُم﴾(ابراهيم : 22)

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية

باحث ألماني يطور تطبيقا لتيسير أداء مناسك الحج والعمرة

طور عالم وباحث ألماني تطبيقا خاصا للهاتف الذكي يستهدف المجتمع الإسلامي، والتطبيق عبارة عن دليل يساعد المسلمين على أداء مناسك الحج والعمرة بسهولة ويسر بإرشادهم إلى الطرق الصحيحة وفق الخطوات المتتابعة للمناسك.وقد استقى الباحث فكرة التطبيق من أن الحاج أو المعتمر الذي لا يعلم أين ومتى يؤدي كل منسك، وهذا ما حصل معه شخصياً عندما ذهب لأداء مناسك العمرة مع عائلته عام 2006، حيث واجه حينها،، الكثير من الصعوبات، على الرغم من علمه مسبقاً أنها ستكون أكثر سهولة ويسراً من مناسك الحج، مما جعله يفكر جديا في إيجاد نموذج لبرنامج ملاحي يساعد المسلمين في أداء مناسكهم.

تركيا تستعد لتنظيم مؤتمر جديد لـ"أصدقاء سورية"

قال وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو أن بلاده تستعد لتنظيم مؤتمر جديد لـ"أصدقاء سورية"، حسبما ذكرت صحيفة "أكشام" التركية.وأضاف أوغلو خلال اجتماع للكتلة البرلمانية لحزب "العدالة والتنمية"، أن "السلطات التركية تعمل على تحديد موعد جديد، ونأمل في أن يثمر المؤتمر عن نتائج أكثر فاعلية مقارنة بمؤتمر "أصدقاء سورية" السابق، ويذكر أن مؤتمر "أصدقاء سورية" السابق في إسطنبول شهد الاعتراف بالمجلس الوطني السوري ممثلا شرعيا للشعب السوري. ويتألف المجلس المعارض للنظام السوري من 230 سياسيا معارضا.

صحف بريطانية: ما أشبه سوريا بالبوسنة

تناولت بعض الصحف البريطانية الأزمة المتفاقمة في سوريا بالنقد والتحليل، وخاصة في أعقاب المجزرة التي شهدتها بلدة الحولة بحمص قبل أيام والتي أسفرت عن مقتل أكثر من مائة، بينهم نساء وأطفال، وقالت إن أزمة سوريا اليوم تشبه كثيرا أزمة البوسنة في تسعينيات القرن الماضي.فقد أشار الكاتب غيديون راشمان في مقال نشرته له صحيفة فاينشال تايمز إلى ما وصفها بالمجزرة المروعة في بلدة الحولة، وإلى الصور المرعبة لجثث الأطفال الذين قضوا في المجزرة، وقال إن المنظر الرهيب يذكر المرء بالقصف الذي تعرض له أحد الأسواق في العاصمة البوسنية سراييفو عام 1994.

الداودي يعقد اتفاقا مع رؤساء الجامعات الإسبانية

أوضح لحسن الداودي، وزير التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، أن حكومة ماريانو راخوي لم تلزم الجامعات بالقانون الذي فرض على الطلبة المغاربة الزيادة في رسوم التسجيل بنسبة 100 في المائة.

وأوضح الداودي أن هناك استقلالية للجامعات عن الحكومة الإسبانية، وأضاف أنها وضعت حدا أدنى وسقفا أعلى للرسوم الواجب تأديتها من طرف الطلبة الأجانب،و الجامعات لها أن تختار المبلغ التي تشاء.

العثماني: لن نَقبَل بـ"دولة وهمية" مقابل العودة إلى الاتحاد الإفريقي

أكد وزير الشؤون الخارجية والتعاون سعد الدين العثماني أن عودة المغرب إلى منظمة الاتحاد الإفريقي رهين بتوفر عدة شروط باعتبار أن المملكة لا يمكن أن تقبل أن تعامل على قدم المساواة مع دولة وهمية.

وقال العثماني خلال ندوة صحفية عقدت على هامش اللقاء الذي نظم بالرباط بمناسبة الاحتفال بيوم إفريقيا إن "عودة المغرب إلى منظمة الاتحاد الإفريقي رهين بتوفر عدة شروط. وأن المملكة المغربية لا يمكن أن تقبل تحت أي ظرف من الظروف أن تعامل على قدم المساواة مع دولة وهمية لا وجود لها.

وزارة الصحة تُخَفّض أسعار 400 دواءً لعلاج الأمراض المُزمِنة

قال وزير الصحة الحسين الوردي إن الإجراءات التي اتخذت حتى الآن من قبل وزارة الصحة مكنت من انخفاض أسعار حوالي 400 دواء يستخدم في علاج الأمراض المزمنة.

وأوضح الوردي في معرض رده على سؤال شفوي حول "تدبير السياسة الدوائية بالمغرب" تقدم به الفريق الاشتراكي بمجلس المستشارين أن الوزارة بصدد إعداد مشروع قانون جديد حول نظام تحديد أثمنة الأدوية يرمي إلى تحيين تسعير الأدوية سيمكن من مراجعة أثمنة الأدوية تماشيا مع المراجعة 17 التي قامت بها المنظمة العالمية للصحة وكذا تعيين لجنة الشفافية للأدوية في إطار التغطية الإجبارية.

أردوغان يتعهد بالتصعيد ضد سوريا.. وتركيا تطرد القائم بالأعمال السوري

قال رجب طيب أردوغان، رئيس الوزراء التركي،، إنه "لا يمكن بقاؤنا صامتين على المواقف السورية الظالمة، وأن الذي يقف مع الإدارة السورية سيكون ظالمًا مثلها."وأضاف أردوغان في تصريحات للصحفيين، قائلا: "سنطور عقوباتنا على سوريا في الأيام القادمة، وأن زملاءنا العاملين في المؤسسات المعنية يعملون على هذا الاتجاه."موضحا أنه "على ضوء التطورات سنتخذ خطواتنا من خلال التقييم الموسع للمؤسسات المعنية بالموضوع، ولكن لا يوجد حاليًا قرار بهذا الاتجاه."

ألم قلم

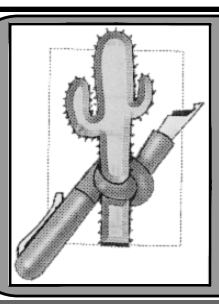

العلامة أحمد الغازي الحسيني رحمه الله وركن بناء المجتمع

روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه كان يقول : "موت العلماء ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار".

ومن الأكيد أن الثلمة تزداد اتساعا حينما يُنْظَر إلى موت العلماء نظرة عادية وربما تهميشية، لا تُلقِي بالاً لهول هذه الثلمة التي يتركها الموت، ولا إلى ذلك الفراغ الروحي العلمي الذي سيطفو على السطح بعد رحيل عالم أو أكثر، خاصة في زمن نشكو فيه قلة العلماء الربانيين المتمكنين من شرع الله، السائرين على درب الله، المتنورين بنور الله.

انتقل العلامة أحمد الغازي الحسيني إلى جوار ربه، ولم يزد الإعلام عندنا على اختلاف أشكاله وألوانه وتقنياته وإمكاناته، وهو يخبر عن فقدان الراحل، بقوله : "وهو أحد علماء القرويين وصاحب ركن المفتي الذي كانت تبثه القناة الأولى". وبعضها أضاف أنه كان أستاذا بهذه الجامعة أو تلك، ولذلك لم تزد بعض وسائل الإعلام المكتوبة والرقمية خارج المغرب على أن تنقل هي الأخرى هذا الخبر كما هو "أحد علماء القرويين وصاحب ركن المفتي". وبذلك طوى إعلامنا بكل بساطة وسهولة صفحة عالم علَم من علمائنا، ومعه طوى جانبا مُهما مما يتميز به المغرب من رجالات أفذاذ ومن إنتاج علمي وفكري لو كان عند غيرنا ممن يُقدّرون ثقافتهم وتاريخهم حق قدره لفعلوا الأعاجيب، ولكتبوا الأغاريب.

نعم هكذا طُويت الصفحة دون أن تُسائل هذه الوسائل ما معنى القرويين؟ وما هو تاريخ القرويين؟ وما معنى عالم من علماء القرويين؟ وماذا كان يدرّس في القرويين؟ وما ذا كان يقول الراحل في ركن المفتي؟ وما هي مواقفه العلمية المشهورة؟ ومن هو أحمد الغازي الحسيني الإنسان المتعلم والعالم؟. هذا أمر لا يعني وسائل إعلامنا، لأنها مشغولة بنقل المباريات الرياضية وأخبارها، والتعريف بالرياضيين الكبار من غرب الكرة الأرضية إلى شرقها، وإجراء المسابقات "الثقافية" حول الأهداف التي سجلها الرياضيون من الأحياء والموتى في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي فضلا عن زمننا الحاضر، دون أن تنسى المواقف والتسجيلات الفنية والغنائية لهذا المطرب أو تلك المغنية، وما قدمه هؤلاء وأولئك على المسارح والمهرجانات منذ نعومة أظفارهم، إلى أن انتقل منهم من انتقل إلى الدار الأخرى.

"هو أحد علماء القرويين وصاحب ركن المفتي": صفتان محدودتان تُذْكَران بحياء وخجل، وبنوع من الغموض والتعمية، في مقابل صفات من المدح والثناء لا تحصى تُسْدى لآخرين من أصحاب القدم والنغم.

صفتان محدودتان، لكنهما وسامان كبيران على كتف عالمنا الجليل رحمه الله، لمن عرف معنى القرويين وتاريخها، وأدرك قيمة إفتاء المسلمين فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم، فركن المفتي لو قُدِّر حق قدره من جميع الجوانب لكان ركنا لبناء المجتمع، وحصنا له من الضلال والتيه والانحراف والغلو والتطرف.

قد يقول قائل هذا كلام الرجعيين والمتزمتين والظلاميين والمتخلفين، أصحاب الكتب الصفراء الذين لا يرغبون في التقدم، وينظرون دائما إلى الوراء، ما الذي سيقدمه عالم تخرج من القرويين في منتصف القرن الماضي في عصر الفضاء والرقميات؟ وما الذي سيفتي به في زمن الذرة وثورة الاتصالات؟ وماذا يمكن أن يقول في زمن "الراب" و"الكليبات" والمباريات الرياضية الضخمة بين الفِرق الكبرى؟؟

نعم قد يقال هذا وغيره، لكن هذا مجال لا نريد الخوض فيه، فكل إناء بما فيه ينضح.

لم أَحظ بشرف التتلمذ على يد الفقيد رحمه الله، ولا حتى مجالسته، لكن ما سمعته عنه يدل على أنه أحد العلماء الربانيين، وما كتبه العالم الشاب الأديب الأستاذ امحمد العمراوي في العدد الماضي من هذه الجريدة تحت عنوان "هيا بنا نحلل الخبزة" أحد الأدلة على الورع الذي كان يتسم به الراحل رحمة الله عليه.

ومن هذا القبيل ما حدثني به أحد الطلبة النجباء وفقه الله تعالى إلى كل خير، من أن طلبة "ماستر المعاملات المالية" بكلية الآداب سايس بفاس، كانوا يتوجهون إلى بيت الفقيد من أجل تلقي الدرس، بعد أن عجز رحمه الله عن الحركة نتيجة العملية الجراحية التي أجريت له في العمود الفقري. عدد هؤلاء الطلبة يقارب الخمسين يذهبون مرتين في الأسبوع إلى بيته، يُضيِّفهم ويرحب بهم ويجلسون جميعا في "الصالون" على فراش متواضع ينبئ عن تواضع صاحبه،، يقرأ أحدهم ما تيسر من كتاب "بداية المجتهد" ثم يتولى الفقيه الفقيد بما أوتي من اجتهاد تفسير ذلك، وحينما يشعر أن الملل بدأ يدب إلى بعض العقول، يطرفهم بملحة أو أكثر حتى إذا عادوا إلى نشاطهم عاد إلى درسه.

نعم حوالي خمسين طالبا، لم يشعر أي واحد منهم في يوم من الأيام بحرج أو ضيق، حتى في أيام المطر والبلل والطين، حين تحمل الألبسة والأحذية ما تحمل!! الشيخ دائما هو الشيخ، لا تَبَرُّم ولا ضيق، بل دائما ترحيب وابتسامة.

لم يكن الشيخ رحمه الله يفعل هذا من أجل تعويض مادي، ولا من أجل رياء أو سمعة، وحاشاهُ أن يكون كذلك، ولكنه الضمير الحي، الدافع إلى بناء المجتمع، وإلى تبليغ ما وهبه الله من فهم واجتهاد في الأمور الشرعية، وإلى أداء الأمانة التي شعر بأنه مكلف بأدائها وتبليغها، أملا منه في أن يقتبس الشباب من هذا النور الذي حمله عدول الأمة خلفا عن سلف..

فهل يسير علماؤنا الشباب على درب أساتذتهم وشيوخهم، في تبليغ رسالة العلماء وبناء المجتمع؟!

الأمل في ذلك كبير، وعسى أن تكشف الأيام عن سيَر أساتذة لنا وعلماء، الذين صنفهم البعضَ في دائرة "الرجعية"، ووضعهم الآخرون في خانة "علماء السوء أو السلطان" ليَتبيَّن من خلال هذه السِّيَر، أو من خلال جانب منها على الأقل، أنَّ علماءنا من طينة خاصة، وأنهم كانوا فعلا مصابيح تضيء للناس الظلم، وأنهم ركن أساسي في بناء المجتمع.

رحم الله فقيدنا العالم العلامة الأستاذ أحمد الغازي الحسيني وأسكنه فسيح جناته، وقابله بعفوه وإحسانه.

د. عبد الرحيم بلحاج

دلالة تنزيل الماء على عظمة الخالق في الإحياء والإماتة والبعث

قال الله جلت حكمته : ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾(9- 11)

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

فمن ألطف الإشارات التي تنبثق عن حركة الأمطار، ومشاهد الرحمة المتنزلة بالغيث، فوق الروابي والمزارع والديار، بما لها من مقدمات الغيوم والرياح، ثم بما يتبعها من صَيِّبٍ نافع، وقطر مبارك كريم، متردد بين وابل وطل، وفي فعل التنزيل المضعف هذا﴿ونزلنا﴾ إشارة لطيفة إلى حركة الغيث المترسلة، ونزوله فترة بعد فترة حسب الحاجة وأوقات المنفعة، بما لا يكون فيه ضرر على الفلاحات والعمران، ولذلك وصفه الرحمن ب"المبارك"، والماء المبارك يحيي ولا يقتل، وينفع ولا يضر.. ! ثم إن الله جل ثناؤه وصف ماء السماء بالبركة هنا أيضا بسبب ما يكون له من آثار في خروج النبات من تحت الأرض، ونمو الزروع والأشجار، وكل ما يرجو الإنسان حصاده من الخيرات والبركات، من مثل حب الحصيد، وهو القمح وما في معناه من أنواع الزروع والحبوب المدخرة، مما ينبني عليه قوت الإنسان. ثم ما يكون من اخضرار الروابي والبساتين والجنات ذات الخمائل والثمار والأطيار.. ويخص الرحمن أشجار النخيل بالذكر لما لها من جمال أخاذ وثمر كريم من جهة، ولما للتمر من قيمة غذائية لا تكاد تضاهى، ثم لأن التمر كان هو فاكهة العرب الأولى وما يزال. والباسقات من النخيل هن الطوال الشاهقات، الضاربات بطولهن في السماء مترفعات في عزهن بما أخرج الله منهن من طلع نضيد. والطلع هو عراجين النخل بعد بزوغها من أكمامها مباشرة، وقبل انتثار أزرارها، حيث تكون براعيمها الصغيرة آنئذ ما تزال منتظمة بدقة متناهية كانتظام حبات الرمان تحت غشائها، أو كانتظام عيون الشهد المختوم، قبل نزع غلائله الرطبة!

وإنها لمشاهد خارقة الجمال حقا إنك إذ ترى الزروع والثمار، والبساتين الغناء، والنخل الباسقات تلفحك الأشواق التي حلقت بتلك الأغصان عاليا، وارتفعت بذلك السعف الأخضر الجميل وهو يحتضن أثداء الطلع النضيد، متطلعا بجوانحه نحو السماء وكأنما هو يعتزم التحليق إلى الأفق الأعلى! وإنك لترى الأشجار فعلا تتطلع بأغصانها وأكمامها إلى خالقها العظيم!

ثم.. ثم تثقل العراجين بثمارها شيئا فشيئا حتى تتدلى نحو الأرض خاشعة!

وكأنما هي أم تحنو على طفلها الرضيع بأثدائها العامرة وتتدلى التمور والثمار نحو الأرض، ﴿رزقا للعباد﴾ تلك هي قصة الماء المبارك، وتلك هي دورة الحياة التي يصرفها الرحمن ما بين السماء والأرض، فيحيي به الأرض بعد موتها ﴿رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا..﴾ فترقص فرحة الحياة في العمران، ويخضر الأمل في القلوب، من بعد يأس وقنوط

إن المتفكر ليرى يد الخالق العظيم حاضرة خلف ستار حركة الكون، فهو تعالى يدبر أمر مملكته، ويرعى شؤون خلقه، ويسوق لهم الأرزاق ويفجر من حولهم أنهار الحياة وأنت تلحظ أن الأفعال كلها في الآيات السابقة مسندة إلى فاعل واحد هو الله رب العالمين، وأن التعبير فيها جميعا واقع بضمير المتكلم"نا" الدال على الحضور القوي ﴿والارض مددناها.. وألقينا فيها.. وأنبتنا فيها.. ونزلنا.. فأنبتنا به.. وأحيينا..﴾ فهذا الفاعل العظيم الحاضر القوي، المستوي على عرشه يدبر أمر مملكته، بما يشاهد الإنسان آثاره حواليه قوية متدفقة بالحياة، هو نفسه سبحانه إذ يعرض تلك المشاهد كلها يقول لنا : ﴿كذلك الخروج﴾ تماما كما ينبت الزرع ويولد الطلع، يخرج الإنسان من تحت التراب كالشجرة الخضراء ليوم النشور...

إنها لمشاهد خارقة الجمال حقا إنك إذ ترى الزروع والثمار، والبساتين الغناء، والنخل الباسقات تلفحك الأشواق التي حلقت بتلك الأغصان عاليا، وارتفعت بذلك السعف الأخضر الجميل وهو يحتضن أثداء الطلع النضيد، متطلعا بجوانحه نحو السماء وكأنما هو يعتزم التحليق إلى الأفق الأعلى! وإنك لترى الأشجار فعلا تتطلع بأغصانها وأكمامها إلى خالقها العظيم!

ومن أعجب الأحاديث الواصفة لحركة البعث والنشور، ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "ما بين النفختين أربعون - قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال : أَبَيْتُ! قالوا: أربعون شهرا؟ قال : أَبَيْتُ! قالوا : أربعون شهرا؟ قال : أَبَيْتُ! قالوا : أربعون سنة؟ قال : أَبَيْتُ! ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا، وهو عَجْبُ الذنب منه خُلق ومنه يُرَكَّب الخلق يوم القيامة "(1). قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث : "وكأن أبا هريرة لم يسمعها إلا مجملة، فلهذا قال لمن عينها له : "أَبَيْتُ" بمعنى : امتنعت عن بيان المعدود، أهو أربعون يوما، أم أربعون شهرا، أم أربعون سنة؟ لأنني هكذا سمعته من النبي ﷺ مجملا من غير تفصيل.

إن المتفكر ليرى يد الخالق العظيم حاضرة خلف ستار حركة الكون، فهو تعالى يدبر أمر مملكته، ويرعى شؤون خلقه، ويسوق لهم الأرزاق ويفجر من حولهم أنهار الحياة وأنت تلحظ أن الأفعال كلها في الآيات السابقة مسندة إلى فاعل واحد هو الله رب العالمين، وأن التعبير فيها جميعا واقع بضمير المتكلم"نا" الدال على الحضور القوي ﴿والارض مددناها.. وألقينا فيها.. وأنبتنا فيها.. ونزلنا.. فأنبتنا به.. وأحيينا..﴾

ولا عبرة عندنا بذلك هنا، وإنما العبرة هي بقوله ﷺ :"ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل" وهو المفسر بدقة لما نحن فيه من قوله تعالى : ﴿ كذلك الخروج﴾ وهو تشبيه من الدقة بمكان لأن الإنسان يصير بعد الموت إلى ذرة صغيرة، هي البذرة الدقيقة التي سوف يُستَنْبَتُ منها مرة أخرى وهي ذرة كامنة في عَجْب الذنب كما في الحديث المذكور. وعجب الذنب هو الفقرة السفلية الأخيرة من العمود الفقري البشري، التي هي موضع الذيل من الحيوانات ذوات الذيول والذرة الكامنة هناك هي من الصغر والدقة بحيث لا تكاد تُرى بالعين المجردة ومع ذلك فهي تحتوي على كافة الأسرار الوراثية والتكوينية لكل إنسان في بدنه تماما كانطواء شجرة اللوز أو شجرة الجوز كلها في نواتها الصغيرة ففي هذه النواة الصغيرة تكمن جميع العناصر التي منها تتكون شجرتها، كالجذور، والأغصان، والأوراق، والأزهار، والثمار... فكذلك ذرة عَجْب الذنَب في الإنسان ولذلك فهي لا تبلى ولا تفنى أبدا إنها ذرة غير قابلة للتدمير، ولا للتخريب، ولا للاحتراق، ولا لأي نوع من أنواع الفناء والإفناء.

عبرة

خرج علي رضي الله عنه صحبة كميل بن زياد إلى المقابر، حتى إذا وقفا عليها، قال علي رضي الله عنه : يا أهل المقابر أتخبرونا أخباركم أم نخبركم أخباركم، أما أخبارنا فإن الأموال قد اقتسمت والدور قد سكنت، والنساء قد تزوجن، ثم سكت والتفت إلى كميل وقال : والله لو أذن لهم في الكلام لقالوا : إنا وجدنا خير الزاد التقوى. يا كميل القبر صندوق العمل وعند الموت يأتيك الخبر.

زيارة القبور دأب الصالحين، وعادة المتقين، يذكرون بزيارتها مصيرهم ومآلهم، فيَنْحَسِر مَدُّ الشهوات في قلوبهم، وتَنْمَاعُ الشبهات من عقولهم، ويعُدُّون أنفسهم في عداد الموتى، فلا جرم إذن يَجِدون ويجتهدون. وإنما كانت زيارة القبور لهذا الغرض.

ولقد مررت على قبور الأحبة
صفت كفرسي رهان
فبكت عيني وسال دمعها
لأنها رأيت بينها مكاني

زيارة القبور حياة للقلب وسبب في اندفاع العبد نحو العمل الصالح والكف عن المعاصي، وما قَلَّت المظالم والانحرافات الخُلُقية في الرعيل الأول إلا لأن علم الموت كان يلوح للناس بكرة وعشيا، قال أبو علي الرقاق رحمه الله : "من أدمن ذكر الموت أكرم بثلاث : تعجيل التوبة، ونشاط في العبادة، وقناعة في القلب، ومن أهمل ذكر الموت عوقب بثلاث : تسويف التوبة، وكسل في العبادة، وطمع في القلب".

بقي أن أسألك أخي الحبيب : متى كانت آخر مرة زرت فيها القبور، وخيل إليك أنك منطرح بينهم، فهل يا ترى سيكون قبرك روضة من رياض الجنة أم حفرة من حفر النار نعوذ بالله.

ولله در القائل :
والقبر إما روضة من الجنان
أو حفرة من حفر النيران
إن يكن خيرا فالذي من بعده
خير من عند ربنا لعبده
وإن يكن شرا فما بعده أشد
ويل لعبد عن سبيل الله صَدَّ

ذ. منير مغراوي

معرفة سبب النزول

والمراد بسبب النزول: ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه وقت وقوعه، وذلك فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وفوائد هذا النوع كثيرة، (منها) معرفة الحكم و الباعثة على تشريع الحكم، (ومنها) الإطلاع على المعنى المراد من الآية وإزالة الإشكال، (ومنها) أن معرفة سبب النزول طريق قوي إلى فهم معانى الآيات، فإن العلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب.

واعلم أن سبب النزول هو ما ورد بسند متصل عن صحابي رفعه إلى رسول الله ﷺ، أو لم يرفعه ولكنه لا مجال للرأي فيه فله حكم الرفع.

ومثال ما عرف سببه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ إلى آخر عشر آيات فى سورة النور، وتسمى آيات الإفك، وآيات البراءة، فإنها نزلت فى المنافقين الذين افتروا على السيدة عائشة رضي الله عنها، كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾(سورة البقرة)، فإن سبب نزولها تحرج بعض المؤمنين عن السعي، لأن الكفار كانوا يفعلونه، فنزلت مبينة أنه لا حرج فيه على المؤمنين، بل هو من أعمال الحج والعمرة.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ لو نظر فيه لمجرد اللفظ لجاز أن يصلي المسلم إلى أيّة جهة دون تقيد باستقبال الكعبة، ولكنه لو عرف سبب النزول علم أن استقبال الكعبة فرض فى كل صلاة، كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

أما سبب نزول هذه الآية فهو أن اليهود قالوا: إن محمدا إنما ترك استقبال بيت المقدس واستقبل الكعبة تبعا لهواه فسفههم الله تعالى ببيان أن لله المشرق والمغرب، فله أن يأمر باستقبال أية جهة فى الأرض، وقد أمره باستقبال الكعبة بدل بيت المقدس ولا محيد عن حكم الله وطاعته، فالقبلة له ولأمته هي الكعبة لا غيرها إلى قيام الساعة.

ما الذي يجعل العبد يترك باب الله ويطرق باب العباد؟

عن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (أو كلمة نحوها) وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته فوِزرهما سواء»(1).

د. لخضر بوعلي

تحدثنا في العدد السابق عن بعض القضايا المتعلقة بهذا الحديث الشريف منها:

● أن الله الكريم أجرى هذا الكون على سنن ثابتة منها ضرورة اتخاذ أحسن الأسباب لتحقيق أحسن النتائج وأن التفريط في الأسباب هو تفريط في النتائج وصاحبه يستحق اللوم والعتاب، وليس المطلوب هو اتخاذ الأسباب كيفما اتفقت بل المطلوب هو اتخاذ أفضل الأسباب التي تكون في الوسع وهو ما يعبر عنه بالإحسان، والتقصير في هذا مع القدرة عليه عيب كبير كما قال أبو العتاهية:

ولم أر في عيوب الناس عيباً
كنقص القادرين على التمام.

وإلى جانب السنن المادية التي ترتبط نوعاً من الربط بين الأسباب والمسببات، هناك سنن قدرية يجريها الله تعالى في حالات خاصة بعدما يستفرغ المؤمن وسعه في الأسباب المادية أو عندما يتعلق الأمر بأمور خارجة عن التقدير المادي ومرتبطة بالملكوت منها:

● أن المال في التقدير البشري، المحصور في الحسابات المادية، يزيد بالأخذ -ولو كان بالربا- وينقص بالعطاء -ولو كان بالزكاة- بينما التقدير الرباني أن المال يزيد بالزكاة وينقص بالربا قال تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾(البقرة: 275).

● أن العبد قد يظلمه ظالمه يقصد بذلك إذلاله، وقد ينتقم من ظالمه يقصد بذلك رد الاعتبار والتعزز والترفع، فإن لم يفعل فقد رضي بالدنية وضُرِبت عليه الذلّة. هذا تقدير البشر القاصر وأما التقديرَ الإلهي فيقتضي أن الرفعة أنما تكمن في الصبر على الظلم رغم القدرة على الرد لقوله ﷺ: «... وما ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزاً...»

● ويقول ﷺ: «... ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر...» يفهم من هذه العبارة الشريفة أن كل باب،غير باب الله، مغلق. وما ينبغي للمؤمن أن يطرق غير باب الله الغني الكريم القائل: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾(فاطر: 15) فالسائل والمسؤول كلاهما فقير إلى الله تعالى فلماذا يطرق العبد باب العبد الفقير الذي تغضبه المسألة ويترك باب الغني الجواد الذي يغضب إذا لم يسأل؟ قال الشاعر:

لا تسألنّ ابن آدم حاجة
واسأل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وترى ابن آدم حين يُسأل يغضب

● والأصل في الإنسان أن يسلك الطرق المشروعة للاكتساب، ولقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم(2)، ومن مظاهر هذا التقويم أن جهّزه بقوى بدنية وعقلية، إن أحسن استعمالها فإن الرزاق لا بد رازقه فهو القائل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾(الكهف: 30)(3) وهو القائل أيضا: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا إله إلا هو فأنى توفكون﴾(فاطر: 3). ولكن بعض الناس(4) عطلوا هذه القوى وركنوا إلى الكسل والخمول فهجم عليهم الفقر، فلما لم يجدوا عزما لدفعه لجأوا على التحايل على الناس. وهناك صنف آخر من الناس ليسوا فقراء ولا عاجزين على الكسب ولكن شدة حبهم للمال والاستزادة منه جعلهم لا يستثنون أي وسيلة توصلهم إليه. ففتحوا كل باب رأوها موصلة إلى فريق من أموال الناس ومنها المسألة. وربنا العزيز الحكيم يعاملهم بنقيض قصدهم فيفتح عليهم بابا من الفقر. ومما نفهمه من هذا الحديث أن المسألة تقتضي من السائل التظاهر بالفقر كالوسخ والثياب البالية والتذلل والحرمان من نعم الله وغيرها مما يوحي إلى من يراه بأنه فقير، وهذا بالضبط ما يفعله الفقر بالناس. في المقابل نجد بعض الفقراء متعففين: ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾(البقرة: 272) لا تراهم إلا بثياب نظيفة وهمم عالية ورؤوس مرفوعة شامخة... إنهم لا يملكون مالاً ولكنهم يملكون غنى النفس وعزة النفس والكرامة فهم أغنى من كثير من الأغنياء.

● من جهة أخرى فإن السائل أموال الناس لا يسعه إلا التظاهر بالفقر وقد يضطر إلى أن يأتمن غيره فيستودعه أموالاً كثيرة ليس من مصلحته أن يعلم أحد بأنه يملكها، فإذا جحده، فهل تُرى يجد من يصدقه؟. ألا يصدق عليه قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً...﴾(الكهف: 99).

● ما الذي يجعل العبد يترك باب الله ويطرق باب العباد؟ ﴿أليس الله بكاف عبده(الزمر: 35)؟ إن الذي يفتقر إلى الفقير لا يكون إلا فقيراً.

وقال ﷺ: «وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو نيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعلم فلان فهو نيته فوِزرهما سواء».

كثيراً ما يجمع الوحي بين المال والعلم وبينهما تكامل عجيب فالمال قوة والعلم دليل. فإذا اجتمعا عند شخص أو أمة فإن المجد يصبح غاية قريبة قال الشاعر:

بالعلم والمال تبني الناس أمجادها
ما بنيت أمجاد بجهل وإقلال
فبالعلم تستنير وبالمال تسير.

إن المال في التقدير البشري، المحصور في الحسابات المادية، يزيد بالأخذ -ولو كان بالربا- وينقص بالعطاء -ولو كان بالزكاة- بينما التقدير الرباني أن المال يزيد بالزكاة وينقص بالربا قال تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾(البقرة: 275)

وليس المقصود بالعلم في هذا الحديث العلم الذي يحصره أصحابه في وسيلة لتحصيل المال فهذا نموذج خاسر قال تعالى (حكاية عن قارون): ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الارض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندي﴾(القصص: 76-78).

وإلى جانب قارون صاحب المال الكثير كان أناس فقراء، لما خرج عليهم في زينته بهرهم وتمنوا أن يكونوا مكانه أي أن يكون لهم مثل ما له. هؤلاء لم يكونوا أهل علم ما دام أن النص القرآني قابلهم بالذين أوتوا العلم في قوله تعالى: ﴿قال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً وما يلقاها إلا الصابرون﴾(القصص: 80).

أن المقصود بالعلم في الحديث الشريف هو العلم الذي يجعل المال -سواء كان ملكاً حقيقياً أو كان أمنية- وسيلة إلى ثواب الله وإلى جنته.

فالعلم بهذا المعنى إذا رزقه العبد كان بأفضل المنازل وإن لم يرزقه كان بأخبث المنازل.

فالعلم، بهذا المعنى، هو العامل الحاسم في تحديد منزلة العبد عند الله تعالى يوم القيامة.

فهو الذي فرق بين منازل الأغنياء وهو الذي فرق، أيضاً، بين منازل الفقراء.

أما المال فيلاحظ أنه لم يكن له أي أثر في تحديد مصير الناس فالذين ملكوه بعضهم دخل الجنة وبعضهم النار وكذلك الذين لم يملكوه.

والعلم الذي يزدان به المال ويقود صاحب المال إلى رضا الكبير المتعال يتجلى في الأمور التالية:

يتقي فيه ربه أي يمتلكه من وجوه الحلال وينفقه في وجوه الحق.

يعلم أن للرحم فيه حقّاً فيصلهم به، ويعلم لله فيه حقّاً فيؤديه.

صاحب هذا العلم فعل هذا فكان بأفضل المنازل وصاحب الجهل حاد عن هذا فكان بأخبث المنازل.

أما الفقراء فإنهم يرمقون المجتمع ويرمقون حركة الأغنياء فيه. فهم، وإن لم تكن لهم أموال، فإن لهم نيات وآمال.

فهذا الفقير له علم ويرى أن الغني صاحب العلم يسير بخطى حثيثة إلى رضوان الله تعالى على حد قول فقراء الصحابة رضي الله عنهم: «ذهب أهل الدثور بالأجور...»(5) فتمنى أن يكون له مثل ذلك المال فيمتطيه إلى رضوان الله الكريم مثل ما فعل الغني صاحب العلم. وكان صادقا في نيته فهو نيته وأجرهما سواء.

وهذا الفقير ليس له علم رأى صاحب المال الجاهل يخبط في ماله لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقّاً فرأى أنه ذو حظ عظيم فتمنى مكانه وأن يكون له مثل ما له فيعمل فيه مثل عمله فهو نيته ووزرهما سواء.

ومما يلاحظ في التعبير النبوي:

● أن الفقير صاحب العلم وصفه الحبيب ﷺ بأنه صادق النية بينما لم يحظ الفقير الجاهل بشرف هذه الصفة وذلك بأن الصدق طريق الخير ولا يكون إلا في قصد الخير، قال تعالى: ﴿فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾(محمد: 22) وأن الجاهل إذا رأى عقوبة نزلت بصاحب المال الجاهل غيّر موقفه كما وقع لأصحاب قارون قال تعالى: ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾(القصص: 82).

● قوله ﷺ فيهما: «فهو نيته» ولم يقل: «على نيته» وكأنه ﷺ اختصر الإنسان في نيته كما اختصر القرآن الكريم الإنسان في عمله فقال تعالى: ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنّي ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾(هود: 46).

والحديث عن ابن نوح عليه السلام: «إنه عمل غير صالح" إنما الإنسان بأعماله وإنما الأعمال بالنيات فقال ﷺ في الأول: «فهو نيته فأجرهما سواء» وقال في الثاني: «فهو نيته ووزرهما سواء».

فطريق الجنة قلب سليم وعلم صالح إن وجد مالاً استعان به على طريق الله وإن لم يجد مالاً صدق في نيته وإذا أخذ الكريم ما وهب رفع ما وجب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

1- رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
2- وستلهم من الآية 4 من سورة التين.
3- الآية جاءت مطلقة فلا موجب لحصر معناها في الآخرة.
4- لم يعودوا في زماننا بعضاً بل أصبحوا كثرة.
5- رواه مسلم.

خطبة منبرية

الاستقامة
أساس الديانة وسبيل السلامة

د. الوزاني برداعي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين و آله وصحبه والتابعين

أما بعد: الاستقامة أس الديانة، وسبيل السلامة، فهي أكبر كرامة في الدنيا، وهي التي تفضي إلى الكرامة الأبدية.(وأن لَّو استَقامُوا عَلى الطَريقَة لأسقيناهُم ماء غَدَقاً لنَفتنَهُم فيه ومَن يُعرِض عَن ذِكرِ رَبِّهِ نسلُكهُ عَذاباً صَعَدا).

لقد وعد الله العباد، ووعد الله حق. إذا ما "قالوا ربنا الله ثم استقاموا" أن تتنزل عليهم الملائكة وهي تنادي أن لا تخافوا.. ولاتحزنوا... وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون.. فالحزن بعيد عمن قال ربي الله ثم استقام...والخوف بعيد عمن قال ربي الله ثم استقام... وله البشرى، وله الرزق الحسن...يقول الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

فما حقيقة الاستقامة؟ وما دليلها؟ وبِمَ تُنال؟ وما ثمرتها؟وما هي الأمور التي تعين على تحقيق الاستقامة؟

لقد حث القرآن على الاستقامة وأمر بها فقال جل وعلا: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.وقال تعالى:﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وحض عليها الرسول الكريم ﷺ: وقد سأله سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل آمنتُ بالله ثم استقم"، مسلم.

إن نوع الاستقامة المطلوبة هي الطريقة التي سار عليها رسول الله ﷺ، فهو أول من سلك طريق الاستقامة قدوة لهذه الأمة مستجيباً لأمر الله تعالى:﴿فاستَقِم كَما أُمِرتَ﴾، وطريق الاستقامة هذه تسير بعكس طريق الطغيان لذلك قال تعالى:﴿ولا تَطغوا، إنَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصير﴾.

قال الإمام الشافعي (رحمه الله تعالى): "لو رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تعتدوا به ولا تغتروا به حتى تعرضوه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب".

- سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة، فقال: "أن لا تشرك بالله شيئاً"، وقال عمر رضي الله عنه: "أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب"، وقال عثمان رضي الله عنه: "إخلاص العمل لله"، وعرفها علي رضي الله عنه: "بأنها أداء الفرائض"، وقال الحسن البصري رحمه الله: "استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته"، وقال مجاهد رحمه الله: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله"، وقال سفيان الثوري (رحمه الله تعالى): "العمل على وفاق القول"، وقال الربيع بن خيثم (رحمه الله تعالى): "الإعراض عما سوى الله"، وقال الفضيل بن عياض (رحمه الله تعالى): "الزهد في الفانية، والرغبة في الباقية"، والخلاصة أن الاستقامة من الكلمات الجامعة المانعة، كالبر، والخير، والعبادة، فلها تعلق بالاعتقاد، وبالقول والعمل.

وبعد:قال الإمام القرطبي رحمه الله بعد ذكر أقوال السلف، هذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله، عقيدة، وقولاً، وفعلاً، وداوموا على ذلك.

عباد الله: كيف نترجم هذه التعريفات إلى حقائق عملية؟

أولاً: الإيمان الصادق بالله عز وجل.

ثانياً: الاتباع الكامل والاقتداء التام بسنة رسول الله ﷺ.

إن نوع الاستقامة المطلوبة هي الطريقة التي سار عليها رسول الله ﷺ، فهو أول من سلك طريق الاستقامة قدوة لهذه الأمة مستجيباً لأمر الله تعالى:﴿فاستَقِم كَما أُمِرتَ﴾، وطريق الاستقامة هذه تسير بعكس طريق الطغيان لذلك قال تعالى:﴿ولا تَطغوا، إنَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصير﴾

ثالثاً: أداء الواجبات: "وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضته عليه" الحديث، وفعل الواجبات أفضل من ترك المحرمات.

رابعاً: الانتهاء عن المحرمات والمكروهات.

خامساً: الإكثار من النوافل والتطوعات: "ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به" الحديث.

سادساً: المداومة على أعمال الخير: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" الحديث.

سابعاً: التوسط والاعتدال، فخير الأمور الوسط، وعمل قليل في سبيل سنة خير من كثير في بدعة، والاعتدال لا يعني التسيب والانفلات، فبين التشدد والالتزام والتفلت فروق دقيقات.

ثامناً: حفظ الجوارح وسجن اللسان.

تاسعاً:السعي لتزكية النفس: "قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا".

عباد الله :

الاستقامة على أمر الله نعمة عظيمة، ودرجة رفيعة، ومنة عالية، فتحقيقها يحتاج إلى جد، واجتهاد، وصبر، واحتساب، ودعاء، وتضرع، وإخبات، وتوفيق، واحتراز.ومن أهم المعينات على تحقيق ذلك بعد توفيق الله عز وجل ما يأتي:

أولاً: الدعاء والتضرع، وسؤالها بجد وإخلاص، ولأهمية ذلك أمرنا بقراءة الفاتحة في كل ركعة، لما فيها من سؤال الصراط المستقيم المخالف لأصحاب الجحيم.

فالدعاء هو العبادة، وهو سلاح المستضعفين، وعدة الصالحين، ولا يعجز عنه إلا المخذولون، فالله سبحانه وتعالى مالك الهداية والاستقامة، فلا تُطلب إلا من مالكها.

ثانياً: الاشتغال بالعلم الشرعي، فالعلم قائد والعمل تبع له: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ."فأمر بالعلم قبل العمل.

ثالثاً: مجاهدة النفس، والهوى، والشيطان، وعدم الغفلة عن ذلك، ومحاسبتها في كل وقت وحين، وعلى الجليل والحقير.

رابعاً: الحرص على سلامة القلب، والحذر من أمراض القلب المعنوية، كالحسد، والرياء، والنفاق، والشك، والحرص، والطمع، والعُجْب، والكِبْر، وطول الأمل، وحب الدنيا، فإنها أخطر من أمراضه الحسية، وهي سبب لكل رزية.

خامساً: الإكثار من ذكر الله عز وجل، والمداومة على أذكار الصباح والمساء، وأذكار وأدعية المناسبات المختلفات.

اللهم ارزقنا الاستقامة، وأحلنا دار الكرامة، اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين، واحشرنا في زمرة الصالحين، وصلى الله وسلم على إمام المتقين، وعلى آله وصحبه، والتابعين.

إشراقة

الحرص على ما يبقى والزهد فيما يفنى

ذ. عبد الحميد صدوق

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أيكم مال ورثته أحب إليه من ماله؟" قالوا : يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال : "فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر" (رواه البخاري).

كان ﷺ يربيهم على التطلع إلى الآخرة، والزهد في الدنيا بإنفاقها في وجوه الخير، قال ابن بطال رحمه الله تعالى : هذا الحديث تنبيه للمؤمن على أن يقدم ماله لآخرته، ولا يكون خازنا له وممسكا عن إنفاقه في طاعة الله، فيخيب من الانتفاع به في يوم الحاجة إليه، وربما أنفقه وارثه في طاعة الله فيفوز بثوابه(1).

وحينها تشتد حسرته، وعن أبي أمامة صُدَيِّ بن عجلان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى"(رواه مسلم).

قوله ﷺ : "إن تبذل الفضل خير لك" الفضل الزائد عن الحاجة، وإشراك الناس فيه خير من إمساكه، و"إن تمسكه شر لك" قال النووي رضي الله عنه : لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر، ومعنى لا تلام على كفاف أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه -أي إذا لم ينفق منه- ولهذا ساق المصنف حديث المنيحة وهي الشاة أو الناقة الزائدة عن التي تحلب لأهل الدار، تعطى للغير ينتفع بلبنها ثم يردها لأصحابها، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أربعون خصلة وفي لفظ : "أربعون حسنة" أعلاها منيحة العنز ما عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله تعالى بها الجنة"(رواه البخاري).

إلتحاق العلماء بالرفيق الأعلى...(تتمة)

بيوت الله، وعبر التدريس في كلية الشريعة، وفي المعاهد الدينية، وعبر برنامج ركن المفتي كان بعض السفهاء يسخرون من برنامجه عمدا لصرف الناس عنه حتى بلغ الأمر ببعضهم اتخاذه مادة للتهريج البخس الرخيص في برامج منحطة كان وراءها الحاقدون على الإسلام وعلى الدعاة إليه من أفاضل العلماء. ولم يهدأ لهؤلاء السفهاء بال حتى توقف هذا البرنامج في حين لم تتوقف البرامج التافهة والعابثة والمفسدة لفطرة الشعب المغربي. وعلى الوزارة الوصية عن الشأن الديني أن تحيي برنامج ركن المفتي وفاء لروح الفقيدين العلامة الغازي الحسيني والعلامة محمد الداودي واعترافا بما قدماه من خدمة لهذا الدين. وبقي أن نقول إن أفضل ما نعزي به أنفسنا في فقدان علماء الأمة الربانيين هو أن نطمئن إلى أن خيار الناس وأكياسهم في وطننا يفكرون بجد في تعويض هؤلاء بمن يحمل مشعلهم في الأمة لينيروا طريقها الذي لا يزداد إلا حلكة في مستقبل الأيام. ولن نستطيع تعويض الخسارة الناجمة عن فقدان هؤلاء العلماء، ولكن العزاء في بروز من يسد مسدهم في العلم والدعوة إلى الله عز وجل، والله تعالى قد تعهد بحفظ كتابه، ومن حفظ الله تعالى لكتابه إعداد من يبلغه من أهل العلم. ونسأل الله تعالى أن يتغمد عالمنا الجليل بواسع رحمته وشامل عفوه، ويسكنه فسيح جنانه بجوار سيد المرسلين ﷺ، ويجازيه عن المسلمين خير الجزاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

النهوض الحضاري للأمة في حاجة إلى إعداد ناشئتها على نهج المتقين

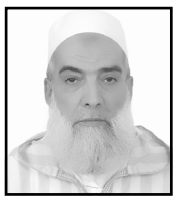

د محمد البوزي

تقديم:

لاشك أن الحضارة التي تسود عالمنا اليوم -وهي حضارة غربية مادية بالأساس- قد حققت للإنسان بفضل العلم والتكنولوجيا ما لم تحققه حضارة أخرى في التاريخ من حيث توفير الخدمات المادية ورفاهية العيش وكثرة الإنتاج فضلا عن الاكتشافات العلمية والطبية، وتطوير الأسلحة الفتاكة وغيرها، إلا أن نزوع أهلها للسيطرة على العالم وترويض الشعوب، وعدم الاهتمام بالجانب الروحي للإنسان كل ذلك جعلها حضارة هائلة ومقلقة، يخاف الإنسان دمارها أكثر مما ينعم برفاهيتها، يقول الدكتور يوسف القرضاوي : "ورغم هذه الإنجازات المادية الضخمة، يقول الواقع: إن هذه الحضارة لم تهيئ لأهلها السعادة المنشودة، أو السكينة المرجوة، إنها جسم فيل، له روح فأر!"(1) أي أنها حضارة مادية ، براغماتية (نفعية لمن امتلك القوة)، وقد أدرك خطورة الجشع المادي والانحراف الأخلاقي وغياب الوازع الديني لإنسان الحضارة المادية، كثير من المفكرين والعلماء الغربيين أنفسهم، والشرقيين كذلك، فحذروا وانتقدوا وتوقعوا الإفلاس وربما السقوط لهذه الحضارة، وقد أورد د. القرضاوي جملة من أقوال المفكرين الغربيين في الموضوع مؤكداً محتواها بقوله : "لقد تفاقم الخطر، وتطاير الشرر؛ خطر المادية، وشرر الحياة الآلية، ولم يبق ذو عقل إلا أعلن شكواه من هذا البلاء الواقع والمتوقع، الظاهر والكامن كمون النار في البركان، يوشك أن ينفجر في لحظة من اللحظات ويأتي على الأخضر واليابس".

والمفكرون المسلمون، والمنصفون من الغربيين غير المسلمين يرون أن حضارة الإسلام القائمة على الإيمان والعدل والإحسان هي القادرة على انتشال الإنسانية من ورطة الانحراف المادي للحضارة المعاصرة.

1- لماذا التربية الحضارية على نهج المتقين؟ :

قد يرد علينا سؤال مفاده : لماذا التربية الحضارية على التقوى،؟ ولم تكن الحضارة الإسلامية؟

وهو سؤال مشروع، خاصة ممن لم يتتبع محاور الموضوع السالفة، فنذكره ببعض ما ورد فيها، ومن ذلك :

- إن مفهوم التقوى بشموليته يعني الإيمان الصادق والعمل الصالح لدنيا الناس وآخرتهم، وهو الذي نتبناه في هذا المقام.

- إن العمران الحضاري تحصنه التقوى ويسقطه الظلم والفساد،يتأكد ذلك بأدلة من القرآن ومن تاريخ الأمم.

- المتقون هم أناس متحضرون وبناة حضارة إيمانية يتجلى ذلك في جيل الصحابة والتابعين ومن على نهجهم من المؤسسين الأوائل للحضارة الإسلامية.

وقد سبق أيضا أن **من أسباب النكوص الحضاري للأمة؛ غياب التقوى أوقلتها لدى مجموع أفراد الأمة، وانحراف مسار الدول الإقليمية، قديما وحديثا، عن منهج الرسول (وصحابته الكرام في التربية العقدية، والسياسية، والمالية وغيرها، وذلك الذي مكن لأنظمة سياسية منحرفة عن مسار السياسة الشرعية ، فحل الولاء للقبيلة أو العشيرة محل الولاء للإسلام، وغلبت الأطماع المادية على القادة ومن والاهم من العلماء، فانتشر الجهل والخرافة وقل العلم الصحيح، فبرزت من جديد النزعات العرقية والقبلية، والصراع الطائفي والمذهبي** وغيرها من مظاهر التفرقة والتمزق مما مهد الطريق للأمم الكافرة لتستولي على بلاد المسلمين.

وعليه فحاجة الأمة الإسلامية -الآن- إلى الأتقياء الأمناء لا يقل أهمية عن حاجتها إلى المهندسين وعلماء التقنيات (التكنولوجية) المبتكرين، وأيضا فإن تكوين جيل جديد من الأمناء الأتقياء، لا يتم ولن يتم اعتمادا على مناهج تربوية ملفقة بين الأهداف العلمانية والأهداف الإسلامية، ومضطربة في السير والمنهجية، ولن يتم أيضا بتطعيم المضامين التربوية بالقيم الإسلامية في نسق تربوي علماني، كما هو حال جل الأنظمة و البرامج التعليمية حاليا، بل لابد من الخروج من شرنقة التبعية والاستعمار والتخطيط لتربية حضارية إيمانية تقوم على المنهج القرآني النبوي الذي يهدي للتي هي أقوم، د ينيا ودنيويا.

> **فحاجة الأمة الإسلامية -الان- إلى الأتقياء الأمناء لا يقل أهمية عن حاجتها إلى المهندسين وعلماء التقنيات (التكنولوجية) المبتكرين، وأيضا فإن تكوين جيل جديد من الأمناء الأتقياء، لا يتم ولن يتم اعتمادا على مناهج تربوية ملفقة بين الأهداف العلمانية والأهداف الإسلامية، ومضطربة في السير والمنهجية، ولن يتم أيضا بتطعيم المضامين التربوية بالقيم الإسلامية في نسق تربوي علماني، كما هو حال جل الأنظمة و البرامج التعليمية حاليا، بل لابد من الخروج من شرنقة التبعية والاستعمار والتخطيط لتربية حضارية إيمانية تقوم على المنهج القرآني النبوي الذي يهدي للتي هي أقوم، د ينيا ودنيويا.**

2- إعادة تكوين الإنسان المسلم ضرورة حضارية :

إن قضية النهوض الحضاري للأمة الإسلامية الحالية قضية كبرى وقد اهتم بها الكثير من المفكرين والمنظرين بمختلف اتجاهاتهم، وخاصة المنتمين منهم لمدرسة مالك ابن نبي الخلد ونية، الذين يتفقون على أن خروج الأمة من وضعيتها الحالية من التراجع أو النكوص الحضاري يتوقف أساسا على إعادة تكوين الإنسان المسلم بعودته إلى منبع حضارته الأصيل، الذي هو القرآن(والسنة النبوية) والأخذ بكل توجيهاته وتعليماته، منذ أن قال الله تعالى لنبيه العظيم: (اقرأ) إلى أن قال له: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(المائدة :3).

ومنطلق رواد هذه المدرسة أن تغيير الإنسان شرطٌ لازمٌ لبناء الحضارة، وهو كذلك شرْطُ لكل إصلاح أو بَعْث حضاري للأمة، فمالك بن نبي رحمه الله يرى أن التغييرَ كفاعلية إنسانية فرديَّة واجتماعيَّة وأمميَّة وراءَ كلِّ نهضة، ومبدأ التغيير عندَه يمثِّل قاعدةً ذهبية استمدادا من قوله - تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾(الرعد:11)(2).

وخروج الأمة من الأزمة يحتاج تغييرا في العمق لا في السطح - كما يقول ذ الطيب برغوت -، تغييرا في النفس؛ أي في الفكر والروح والمنهج والسلوك والأداء الاجتماعي، لا تلوينا ممجوجا في الواجهات، وتبادلا للأدوار على نفس الأرضية الفكرية والأخلاقية والتربوية والمنهجية المهترئة البئيسة. إنه لا بد من التطابق مع قانون التغيير المطرد في التاريخ،" أو بعبارة أخرى بحاجة إلى "نظرية حضارية متكاملة يتحدد فيها كل ما له صلة بالتجديد الحضاري فهماً وتنفيذاً ومراجعة واستمرار"(3).

نفس المبدأ يؤكده د. عمر عبيد حسنة بقوله :"إن نهوض المسلمين وتقدمهم، وردم فجوة السقوط الحضاري التي يعانون منها، واختصار فترة التخلف التي ما تزال تتسع بشكل رهيب، مرهون إلى حد بعيد بإعادة فهمهم للإسلام.. والمطلوب -كما يقول الكاتب- هو "تحقق أسباب التمكين وحسن التعامل والتكيف مع السنن الكونية التاريخية.. وتغيير حال الأمة لما هو أحسن في حاجة إلى جهود وجهاد وصبر ومصابرة...، وعلى يد النخبة من أبنائها الشرعيين، الذين هم الطائفة المنصورة الظاهرة والقائمة على الحق وهي الطائفة المعافاة التي تشكل خميرة النهوض ووسيلة التواصل الحضاري.."(4)،

إذن فأساس النهوض والتجديد، وفقا لهذه الرؤية، هو أساس تربوي بالدرجة الأولى، وذلك في إطار إصلاح شمولي، يرتكز على مبادئ واسس منها ما يلي :

3- مرتكزات النهوض الحضاري للأمة الإسلامية :

● لا نهوض إلا بالتجديد والإصلاح الشامل لأوضاع الأمة، و من أولويات النهوض الحضاري، التخطيط الواعي والهادف للتنمية الاقتصادية الاجتماعية الكفيلة بتحرير ثروات الأمة من أيدي العابثين والمرابين وخدام الاستعمار، والتي تلبي حاجات الأمة الحقيقية،المادية والثقافية والروحية..

● إن عملية البناء الحضاري في إطار المرجعية الإسلامية تنبني أساسا على الوحي قرآنا وسنة، فبالسير على المنهج القرآني والهدي النبوي يهتدي الإنسان للتي هي أقوم في العبادة والعمل وفي البناء الحضاري والرقي الإنساني وغيرها، **فعلى أمتنا الإسلامية إن أرادت النهوض من جديد، أن تحصن نفسها بالإسلام الصحيح، وأن تجدد شبابها بالإيمان القوي، وأن تأخذ من الحضارة المعاصرة خير ما فيها من علم وتكنولوجيا، وأن تتقي السلبيات والانحرافات التي تصيب الأمم وتحط الحضارات،** وقد علمنا القرآن الكريم ونبهنا إلى مآل الحضارات المنحرفة عن الصراط المستقيم، فالذي يقرأ سورة هود مثلا يجدها تتحدث عن (ست) حضارات، مضى عليها ألوف السنين، وكل واحدة أصابها (مرض قاتل)، فمن تلاعب بالموازين، إلى عبث بالأمن وإخافة للناس، إلى شذوذ جنسي، وتعاط للزنى علنًا... إلخ. وكانت النتيجة الحتمية السننية أن كل أمة من هذه الأمم، أصابتها عقوبة موجعة، وضربة ربانية قاتلة، وقد سبق ذكر أمثلة لذالك تحت عنوان (العمران الحضاري تحصنه التقوى ويسقطه الظلم والفساد).

● عدم الركون للواقع السيئ والاقتناع بأن ما حل بالأمة الإسلامية حاليا من الضعف والوهن الحضاري هو أمر مؤقت (مرحلي في عمر الدائرة الحضارية)، ولعله نوع من العقاب لها على التفريط والانحراف عن النهج المستقيم الذي رسمه الله للعباد وبينه النبي الأمين ﷺ، والإيمان بأن هذه الأمة ستسترد عزتها، والتفاؤل بقدرتها على النهوض الحضاري، وأن ذلك ليس حلما ولا أمرا محالا بل هو عقيدة مستمدة من مواثيق الله ومبشرات الرسول ﷺ ..كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في أحاديث كثيرة تبشر بنصرة الإسلام وظهوره على باقي الديانات رغم كيد الكائدين كقوله ﷺ : «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها.....»(5).وقوله ﷺ : «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت..»(6). وقوله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(7).

● الاجتهاد في معرفة أسباب التمكين في الأرض، واكتشاف قوانين تسخير الأشياء والظواهر الطبيعية، والنظر إلى أن من لوازم العبادة ومقومات العبودية، إدراك سنن التسخير ومعرفة الأسباب التي تنتظم الحياة، إذ لو أخذت الأمة بهذا المبدأ لتخلصت من التبعية والتيهان بين الشرق والغرب، ولعرفت طريقها إلى النهوض ثم إلى بلوغ مرتبة الخيرية و الشهود الحضاري على الأمم"،...

● تحرير التعليم والإعلام، من التبعية الثقافية و الإرث الحضاري المريض للدول الصناعية ، لأن أمة الإسلام لن تستطيع أن تقوم بدورها في إنقاذ البشرية من سعار الحضارة المادية، إذا أصابها وشعوبها ما أصاب الآخرين من أدواء المادية والإباحية والنفعية والأنانية، وما أصاب شبابها من الانحراف والانغماس في المخدرات، وعلاج هذه الأمراض هو ما يرتجى من التربية الحضارية الإيمانية أو التربية الحضارية على نهج المتقين....

1- الخواء الروحي مقال وكذا كتاب (الإسلام حضارة الغد) مكتبة وهبة القاهرة طبعة أولى 1995.
ألم يكن ذلك مفيداً؟ يمكنك حجب نتائج البحث عند تسجيل الدخول إلى www.elazhar.com.

2- مظاهر التجديد في فكر مالك بن نبي، د كتورة عائشة يوسف المناعي، منشور في الموقع الإلكتروني : www.elazhar.com/com_au/conf_13/31.asp

3- نبذة عن حياة الأستاذ الطيب برغوت أخذت من موقع الأستاذ برغوت نفسه.

4- تقديم كتاب الأمة 21 دراسة في البناء الحضاري (محنة المسلم مع حضارة عصره) د محمود محمد سفر رجب 1409 هـ.

5- واه مسلم في الصحيح عن ثوبان كتاب الفتن وأشراط الساعة رقمه فيه : 2889

6- أخرجه أحمد في المسند عن النعمان بن بشير رقمه في صحيحة الألباني 5 مج 1.

7- صحيح مسلم ك الإمارة رقمه فيه : 1037.

التوظيف المقاصدي في القضايا الطبية الراهنة

زراعة الأعضاء البشرية 1

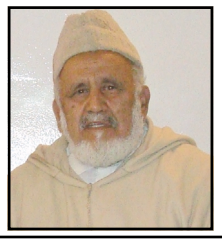

العلامة الدكتور محمد التاويل

في البداية وحتى لا يقال إن الإسلام أو الفقه بصفة خاصة يقف في وجه الطب ويعرقل تقدمه كلما انتقد عملا من أعماله نبادر إلى القول : إن الاجتهادات الطبية وتقدمها مرحبٌ بها شرعا ترحيبا حارا ومرغب فيها إلى حد كبير ومشكور عليها، وكل الاكتشافات في هذا المجال تعد تصديقا لقوله ﷺ : «لكل داء دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا الموت». ولا اعتراض عليها مادامت تحترم مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة ومبادئها السامية وأخلاقياتها النبيلة، ولا تنتهك حرمتها أو تتجاوز حدودها وتتجاهل أحكامها وتضعها أمام الأمر الواقع ثم تطالبها بالاعتراف بها وإعلان شرعيتها، وإلا كان من حق الشريعة وواجبها أن تستنكر كل كشاف ينتهك حرمتها ويخترق حدودها لأن الشريعة جاءت لتقود ولا تقاد وتُتَّبَع ولا تَتَّبِع، كما قال تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة فاتبعها، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾، **ولأن كل الدول تحمي حدودها ودساترها وتعاقب من ينتهكها بأقسى العقوبات، فلماذا الشريعة الإسلامية وحدها تستباح حدودها وينتهك دستورها ثم يطلب منها الصمت والسكوت ولا يسمح لها بالدفاع عن نفسها وإعلان رأيها في القضايا التي تعاكسها؟!**

في هذا الإطار وعلى ضوء هذه المبادئ نطرح للمناقشة بعض القضايا الطبية الراهنة التي أثارت وما تزال تثير جدلا واسعا ونقاشا حادا وانقساما في الرأي في أوساط العلماء ورجال الدين وآخرين بين مرحب ومستنكر لنرى مدى احترامها أو انتهاكها لمقاصد الشريعة ومبادئها قبل الحكم لها أو عليها بالجواز أو المنع.

وكنموذج لذلك نأخذ :

أولا- زراعة الأعضاء البشرية التي لا ينكر أحد أنها إنجاز علمي باهر يساهم في النهاية في خدمة مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية الكبرى والضرورية وهو المحافظة على النفس البشرية من الهلاك وإنقاذ المريض من براثن الموت وتمكينه من الحياة والعيش مما دعا البعض إلى الترحيب بها والتشجيع عليها والمبادرة لإعلان التبرع بأعضائه والدعوة للاقتداء به، لكن الوصول إلى هذه النتيجة في حال نجاح العملية محفوف بكثير من المحظورات وخرق لعدة إجماعات ومخالفة كثير من الأحاديث النبوية والقواعد الأصولية التي نجملها فيما يلي :

1- أن تبرع الإنسان بأعضائه في حياته أو الوصية بها لا يجوز لأن الإنسان في منظور الإسلام بروحه وجسده وجميع أعضائه ملك لله تعالى الذي خلقه وصوره، والإنسان لا يملك شيئا من جسده وأعضائه ولكنه مؤتمن عليها مسؤول عن حفظها ممنوع من التصرف فيها إلا في حدود المأذون له فيه شرعا، ومن لا يملك الشيء لا يحق له التبرع به أو الوصية به لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

2- أنه مخالف للإجماع الذي حكاه ابن عبد البر على أنه لا يجوز قطع عضو من أعضاء بني آدم إلا في حد أو قصاص.

3- أنه مخالف لاتفاق الفقهاء على أن من قال لغيره اقتلني أو اقطع يدى أو افقأ عيني أنه لا يجوز له فعل ما أمره به وأذن له فيه لأنه أذن فيما لا يملك.

4- **أن استئصال العضو من الحي في حياته يمكن أن يؤدي إلى ترك الصلاة أو ترك ركن من أركانها** أو شرط من شروطها لغير عذر ولا ضرورة، وهو كبيرة من الكبائر لا ينبغي تجاهلها والاستخفاف بها لعلاج مريض كما تدل على ذلك القواعد:

● قاعدة المحافظة على الأديان مقدمة على المحافظة على الأبدان.

● قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

● قاعدة أنه لا يجوز ترك واجب أو ارتكاب حرام لتحقيق مباح أو مندوب.

● قاعدة أن ما يؤدي إلى الحرام حرام.

5- أن المتبرع بعضوه لا ضرورة تدعوه إلى التبرع بعضوه أو الوصية به لأن الضرورة حالة قائمة بالمريض، والضرورات إنما تبيح المحظورات للمضطر وحده كما يفيده قوله تعالى ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾.

6- أن الضرورة لا تبيح التبرع بالأعضاء، وقد نص الفقهاء أنه لا يجوز في وقت المجاعة أن يتبرع الإنسان بقطعة من جسده لمضطر جائع لا يجد ما يسد رمقه إلا تلك القطعة من لحم غيره. وإذا كان لا يجوز قطع بعض جسده لإطعام غيره وانقاذ حياته فإنه لا يجوز له إعطاء عضو من أعضائه لعلاج مريض من باب أولى وأحرى لأن الإنقاذ بالإطعام محقق النجاح بخلاف الإنقاذ له بإعطاء العضو فإنه مهما بلغت نسبة النجاح فيه فلن تبلغ درجة اليقين ولن تبلغ درجة الأكل.

7- أنه مخالف لما نص عليه الفقهاء

الأقدمون من أنه لا يجوز التداوي أو الانتفاع بأي جزء من أجزاء الآدمي لكراهته أو نجاسته على خلاف بينهم في تعليل ذلك بعد اتفاقهم على منعه.

8- أنه مخالف لحديث «لا ضرر ولا ضرار» وهو حديث عام شامل للضرر اليسير والكثير، والضرر العاجل والمستقبل، والحديث وإن كان لفظه لفظ الخبر فإن معناه النهي، والنهي يدل على التحريم، ولاشك أن المتبرع يلاقي ضررا حين استئصال عضوه وبعده، ومن يشك في ذلك فليستمع إلى ضحايا المتبرعين بأعضائهم كيف يعيشون وماذا يعانون من آلام وما يبثون من زفرات التحسر والندم على ما فعلوا.

9- أنه مخالف لحديث كسر عظم الميت ككسره حيا وفي رواية في الإثم، فإنه يدل على تحريم كسر عظم الحي والميت معا، والحي أحق بهذا الحكم لأن المشبه به أقوى من المشبه في وجه الشبه، وقطع اللحم ملحق بكسر العظم ومقيس عليه.

10- أن قاعدة سد الذرائع واعتبار المآلات تقتضي منع ذلك لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى انتشار التجارة في الأعضاء البشرية عاجلا أو آجلا، وما يتبع ذلك من سرقة الأعضاء واختطاف الأطفال التي بدأت بوادرها تطفو على السطح في أنحاء العالم.

11- أن أخذ العضو من الميت إن كان بوصيته فوصيته باطلة لأنها وصية من لا يملك ما أوصى به، وإن كان بإذن الورثة فالورثة لا يرثون جثة الميت وإن كان بإذن الحاكم فمسؤولية الحاكم حماية موتى المسلمين من عبث العابثين لا التمثيل بجثثهم، وأيضا إن أخذ منه بعد موته الحقيقي فإنه لا يبقى صالحا للزراعة، وإن أخذ منه قبل ذلك وبعد موت دماغه فذلك جريمة قتل لأن موت الدماغ لا يعتبر موتا شرعيا، لأسباب منها :

● أولا إن كلمة الموت وردت في القرآن في أكثر من آية وفي السنة في أكثر من حديث ومعناه معروف عند العرب وهو خروج الروح من الجسد ومفارقتها فيجب حمله عليه وتفسيره به لأن ألفاظ القرآن والسنة يجب حملها على المعنى المعروف عند نزولها، ولا يصح تفسيره بموت الدماغ لأن العرب لا تعرفه وتفسيره به يؤدي إلى الخطاب بما لا يفهم والتكليف بما لا يعلم

●وثانيا فإن الموت سبب شرعي لكثير من الأحكام تتعلق بالميت نفسه وزوجته وماله، ومن القواعد الأصولية لابد أن يكون السبب وصفا ظاهرا يمكن معرفته والإطلاع عليه بيسر وسهولة من طرف العامة الذين جاءت الشريعة لهم لأن السبب علامة تعرف المكلف بالحكم الذي كلف به، فهو أداة تعريف وإشهار لا يمكن أن يكون خفيا لأنه لا يفيد حينئذ، وموت الدماغ من أخفى الخفايا لَمْ يتوصل الطب إليه إلا حديثا ويحتاج لمعرفته إلى آلات دقيقة وخبرات طبية عالية وفحوص متكررة فلا يمكن ربط أحكام الوفاة به ولا تعليقها عليه لغموضه وخفائه الشديدين.

وأخيرا فإن الغاية لا تبرر الوسيلة فإذا كان إنقاذ مريض عملا مشروعا فإن الوسائل المؤدية إلى ذلك ممنوعة فلا يجوز ارتكابها لعمل جائز أو مندوب.

-يتبع-

تبرع الإنسان بأعضائه في حياته أو الوصية بها لا يجوز لأن الإنسان في منظور الإسلام بروحه وجسده وجميع أعضائه ملك لله تعالى الذي خلقه وصوره، والإنسان لا يملك شيئا من جسده وأعضائه ولكنه مؤتمن عليها مسؤول عن حفظها ممنوع من التصرف فيها إلا في حدود المأذون له فيه شرعا

إن أخذ العضو من الميت إن كان بوصيته فوصيته باطلة لأنها وصية من لا يملك ما أوصى به، وإن كان بإذن الورثة فالورثة لا يرثون جثة الميت وإن كان بإذن الحاكم فمسؤولية الحاكم حماية موتى المسلمين من عبث العابثين لا التمثيل بجثثهم

عاشق القرويين.. وفارس الإفتاء :
العلامة أحمد الغازي الحسيني.. يرحل إلى دار البقاء

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين

أخيرا ترجل فارس الفتوى.. وسكت المفتي، بعد سنوات من إسكات ركن المفتي.. ونزل أستاذ جامع القروين من على كرسي الدرس العلمي: عقيدة وفقها وفرائض وتوقيتا وتعديلا ... وترك الخطيب منبره.. وتخلى الموقت عن صومعته.. فقد أقعده المرض في بيته، وحبسه الوجع عن محبوبه ومعشوقه.. لكن الفارس يأبى إلا أن يكون جامع القرويين آخر محطة في هذه الدنيا ينزل بها جثمانه، وآخر صلاة يحضرها آوإن بعد وفاته- بمحرابه، مقدما على الجميع كعادته.

في عشية يوم الجمعة 19 جمادى الثانية 1433 الموافق 11 ماي 2012 أسلم العالم العلامة، والفقيه الدراكة، الأستاذ الدكتور سيدي أحمد الغازي الحسيني الروح إلى بارئها بعد واحد وتسعين عاما، قضى أغلبها في التعلم والتعليم، والدراسة والتدريس، ينتقل بين سواري القرويين وأروقته وزواياه، وبين محرابه ومنبره وصومعته، وانهد بذلك ركن من أركان العلم بهذا البلد، وسقطت قلعة من قلاع العلم الشامخة.

الولادة والنشأة والدراسة:

ولد شيخنا رحمه الله بفاس عام 1342 هـ (1924) لأب صالح، وعالم كبير، هو الشيخ الشهير، والفقيه النحرير أبو الشتاء بن الحسن الصنهاجي، صاحب العلوم الكثيرة، والمؤلفات الشهيرة، فحرص الوالد على إدخال ولده أحمد الكتّاب، وتحفيظه الكتَاب، وهو صغير السن، فكان له ما أرادَ، ثم اجتهد الوالد في تلقينه مبادئ العلوم، وتعليمه ما لابد منه من الفنون، وبعد أن اشتد عوده، وبإشارة من والده، قرر ملازمة العلماء في بيوتهم، فكان يتنقل من بيت إلى بيت، ويسمع من كبار العلماء، إلى أن أدرك والده أنه حصل علما غزيرا، فرشحه لاجتياز امتحان الباكلوريا بجامع القرويين، فاجتازها بنجاح، والعلماء يومئذ متوافرون، وأكمل النهائي أيضا بنجاح، وذلك عام 1948 ليلتحق سنة 1950، ثم حصل سنة 1976 على دبلوم الدراسات العليا من كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم نال شهادة دكتوراه الدولة في الحقوق من كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1994.

الغازي الحسيني عالما ومدرسا:

سبقت الإشارة إلى ملازمة شيخنا رحمه الله لكبار العلماء في ذلك التاريخ، فضلا عن والده، ومواصلته المشوار بعد ذلك بجامع القرويين، ويدلك على سعة علمه وكثرة اطلاعه، كثرة محفوظاته من جهة، فقد كان يحفظ الزقاقية كاملة والتحفة كذلك، والعمل الفاسي أيضا، فضلا عن ألفية ابن مالك ومواريث المختصر، وتقريب البعيد في علم الفلك، وشواهد ابن عقيل، وغير ذلك كثير جدا، فضلا عن المتون الصغيرة التي كان يحفظها الجميع كالسلم والجوهر المكنون ولامية الأفعال والمرشد المعين وما شابه، وقوة بديهته وسرعة استحضاره من جهة أخرى.

أما تدريسه بجامع القرويين وغيره، فقد انطلق عام 1950 واستمر إلى عام 2012 حيث لم يتوقف عن التدريس إلا قبل وفاته بأسابيع قليلة، فقد كان يستقبل الطلبة في بيته، ويلقي عليهم دروسه خصوصا في الخلاف العالي، وقد تلقينا عنه بجامع القرويين في التوحيد توحيد الرسالة لابن أبي زيد رحمه الله وفي التوقيت حل العقدة والستينية بالسراج الموضوع وشرحه العلم المرفوع للشيخ سيدي محمد العلمي، وشرح المقنع وشرح المارديني للشيخ الفشتالي، وفي التعديل تقريب البعيد على الجامع المفيد في أصول الرصد الجديد للشيخ سيدي محمد العلمي، وفي الفقه أبوابا وفصولا من بداية المجتهد لابن رشد الحفيد.

وفضلا عن جامع القرويين الذي قضى فيه شبابه وكهولته وشيخوخته أستاذا يلقي دروس الحساب والفرائض والتوقيت والفقه والتوحيد وغير ذلك، فقد كان أستاذا بكلية الحقوق بالرباط سنة 1976، وعين أستاذا بالمعهد الوطني للدراسات القضائية بالرباط في نفس السنة، وفي سنة 1981 التحق بالتدريس بكلية الشريعة بفاس، ودرس أيضا بكلية الحقوق بفاس منذ افتتاح الدراسة بها..

الغازي الحسيني مفتيا:

اشتهر شيخنا رحمه الله ببرنامجه الشهير ركن المفتي، حيث كان يتولى الإجابة عن أسئلة المواطنين، وكانت أجوبته تتميز بصحة المعلومة، والدقة في النقل، والعمق في التحليل، والجزالة في الأسلوب، والقدرة على الإفهام والتبليغ، وذلك ما أكسبه شهرة واسعة، وأكسب فتاواه قبولا كبيرا.

الغازي الحسيني خطيبا:

لا نستطيع أن نحدد متى بدأ شيخنا رحمه الله يعتلي المنابر ليخطب في الناس، لكنا نستطيع أن نقول إنه كان خطيبا بارعا متمكنا مقتدرا، تميزت خطبه بالاختصار والتركيز، ومعالجة قضايا الأمة المختلفة، مع وضوح العبارة، وسلاسة الأسلوب، وكان بالإضافة إلى ذلك خطيب العيدين والمناسبات المختلفة، عرف أولا خطيبا بمسجد تونس بالمدينة الجديدة بفاس من سنة 1974، واستمر إلى سنة 1994 حيث انتقل إلى جامع القرويين، بعد وفاة خطيبها العلامة سيدي عبد الكريم الداودي رحمه الله في السنة نفسها -1994-، وظل خطيبها إلى أن أقعده المرض رحمه الله.

الغازي الحسيني مؤقتا:

من العلوم التي برع فيها شيخنا رحمه الله، وحاز فيها قصب السبق، واشتهر بها وفاق أقرانه علم التوقيت، فقد كانت له فيه اليد الطولى، وقد درسنا عليه بجامع القرويين فنونا منه كما سبقت الإشارة، وكان موقت عدوة القرويين بفاس عشرات السنين، لا ينازعه في ذلك أحد.

ظالغازي الحسيني مؤلفا:

ذكرت بعض المواقع الإلكترونية مجوعة من العناوين المنسوبة لشيخنا رحمه الله ما بين مؤلف ومحقق(1)، والذي أستطيع أن أجزم بنسبته إليه ما يلي:

1- حاشية على بداية المجتهد، مخطوط.
2- تحقيق الوثائق العدلية لوالده، مطبوع.
3- تحقيق مواهب الخلاق لوالده، مطبوع.
4- دروس في الفرائض، مطبوع.
5- دروس في التعديل (مقرر في السنة الثالثة ثانوي من التعليم العتيق) مطبوع.
6- طرر على التقريب البعيد في علم التعديل، مخطوط.

7- طرر على المقنع في التوقيت، مخطوط
8- طرر على الروض العاطر في تلخيص زيج ابن الشاطر، مخطوط.
9- دروس في التوقيت، مخطوط.

الغازي الحسيني سجينا:

اعتقله الفرنسيون من ضريح المولى إدريس بفاس عام 1954 حيث كان يتحصن هو ومجموعة من العلماء منهم شيوخه كالعباس بناني، ومنهم أصدقاؤهم كالأستاذ عبد الحي العمروي الذي أخبرني بذلك، وأخبرني بأن الفرنسيين بعد أن رحلوهم إلى الرباط عرضوا عليهم إكرامهم وإطلاق سراحهم مقابل التوقيع على بيعة ابن عرفة فرفض سيدي الغازي رحمه الله ذلك بشدة، مع أن آخرين اختاروا التوقيع وإطلاق السراح.

الغازي الحسيني وجمع الكتب:

عرف عن سيدي أحمد الغازي الحسيني رحمه الله أنه كان جماعة للكتب، وقد أخبرني شيخنا سيدي عبد الحي العمروي أنه كان لا يتغيب عن سوق الدلالة بجامع الجنائز، وأنه كان يشتري الكتاب مهما غلا ثمنه، وأكد لي شيخنا سيدي محمد التاويل أن كلا من سيدي الغازي وسيدي عبد الحي كانا يتنافسان في شراء الكتب، ولم يكن يقدر على مجاراتهما في ذلك أحد، وها هي ذي مكتبته بذلك ناطقة، وعنه مفصحة، حيث إن عدد مخطوطاتها ومطبوعاتها الحجرية فقط لا يقل عن ثمانمائة كما حدثني بذلك الثقة العارف.

وصيته رحمه الله:

وصى رحمه الله بأمرين اثنين: القرويين والمكتبة، فأما القرويين فقد كان وهو مريض لا يفتر عن ذكره، وكان بين كل جملة وأخرى، وكلما دخل عليه داخل، أو جاءه زائر، يوصي بالقرويين: جامعا، وعلماء، وطلبة، وقد حدثني أخونا عبد السلام اجميلي -وقد حضر لحظة وفاته- أنه أوصى بجامع القرويين وعلمائه وطلبته خيرا وهو يجود بنفسه، وكان آخر ما تكلم به الوصية بالقرويين.

وأما مكتبته الحافلة بالنفائس والكنوز فقد وفقه الله تعالى وأوصى بأن تحبس على طلبة العلم، وله أجرها إن شاء الله تعالى.

جنازته:

كان يوم السبت20 جمادى الثانية 1433 يوما مشهودا بفاس، فمع اقتراب وقت الظهر خرجت فاس بالآلاف تودع عالمها الكبير، في مشهد لم أحضره من قبل، وانطلق الموكب الجنائزي من بيت الفقيد بحي بورمانة عبر الشوارع الرئيسية لفاس متوجها نحو جامع القرويين، وتوقفت كل الطرقات، ومن الرصيف إلى جامع القرويين علت أصوات طلبة الشيخ رحمه الله بقراءة القرآن الكريم، واستقبله جامع القرويين كما لم يستقبله من قبل، فقد امتلأ عن آخره، وضاق بالمصلين، ثم انطلق الموكب إلى مقبرة القباب بباب الفتوح حيث ووري جثمانه الثرى رحمه الله وغفر له.

أخيرا نقول:

إن سيدي أحمد الغازي الحسيني رحمه الله كان عالما جليل القدر، عالي المنزلة، متقنا لعلوم كثيرة من توحيد وفقه وأصول وفرائض وتفسير وحديث ونحو وبلاغة ومنطق وتوقيت وتعديل وحساب وغير ذلك، وكان يحفظ من منثور المتون ومنظومها الكثير، ومن غير المتون كشواهد ابن عقيل الكثير أيضا، وأفنى عمره في التعليم والخطابة والتأليف، كان ذكيا متواضعا، محبا للعلم والعلماء، عاشقا لجامع القرويين، عطوفا على طلبته، خطيب منبره وموقت مناره، جماعة للكتب، خلف خزانة حافلة، حبسها على طلبة العلم بالقرويين.

نسأل الله تعالى أن ينفعه بما قدم، ويجمعنا به في مستقر رحمته، مع أصفيائه وأوليائه وأنبيائه.

1- انظر مثلا موقع مكتوب تحت عنوان: مكتبة الشيخ الجليل الغازي الحسيني حفظه الله وعافاه بفاس (سلسلة التعريف بالخزانات الخاصة بالمغرب ، كتبها بديعي، في 6 مارس 2011 الساعة: 00:58 ص تحت عنوان: بطاقة تعريفية بالأستاذ العلامةأحمد الغازي، الحسيني وموقع هسبرس و م ع ليوم 12 ماي 2012.

الأستاذ العلامة المرحوم الغازي الحسيني : المادة والدرس والتدريس

ذ. أحمد النجاري

تلميذ الشيخ ورفيقه في العمل

الفقيه الأستاذ سيدي أحمد الغازي الحسيني كما أعرفه، وكما ترجم له صاحب النسمات وسمع منه.

هو أبو علي أحمد بن أبي الشتاء بن الحسين محمد الأبيض الفاطمي الغازي الحسيني نسباً ولد رحمه الله حوالي 1344هـ الموافق لسنة 1925م بحومة رأس الجنان في عدوة القرويين بفاس - المحروسة من كل باس-.

نشأ رحمه الله في حضن والديه وتعهده والده الفقيه الورع البركة الذي سارت بذكره الركبان واستفاد من علمه وسلوكه القاصي والداني.

أقول : اهتم به والده منذ الصغر حيث وجهه لطلب العلم والجلوس في حلقته وحلق الذكر والدروس بالقرويين، ولما توفي والده الشيخ الإمام عام 1365هـ الموافق لسنة 1946م تابع السيرة والمسيرة إلى أن تخرج وحصل على أعلى شهادة في ذلك الوقت "العالمية" إثر ذلك أصبح أستاذاً من أساتذة القرويين ومُدرساً لمختلف العلوم الشرعية واللغوية بكراسي الجامع الجامعة "القرويين" هذا. ومن العلوم التي كان يجيدها ويمهر في تدريسها بطريقة تربي الملكة وتنمي المعرفة والإدراك علم الفقه بصفة عامة - عبادات ومعاملات- وعلم الوثائق والفرائض والتوقيت والخلاف العالي بصفة خاصة.

1- علم فقه الوثائق : وقد أخذه عن والده وغيره، حيث كان أبوه شيخاً كبيراً ومؤلفا في هذا الفن، وكتاب التدريب على تحرير الوثائق العدلية خير شاهد على ذلك وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ المترجم سبق له أن قام بإصدار كتاب والده هذا وإخراجه للأمة بصفة عامة وللسادة القضاة والعدول الموثقين بصفة خاصة.

يقول رحمه الله في تقديمه لكتاب التدريب : وفن التوثيق هو الذي يرسم خطوط كل معاملة وينظم سيرها ويحدد مدى نشاطها طبقا لنصوص التشريع وقواعد العرف الثابت وآراء الفقهاء، وما جرى عليه عمل القضاة. إن هذا العلم يبين عناصر كل اتفاقية ويرشد إلى المكملات التي تضمن استمرار أثر مفعولها وتحسم مادة النزاع بين أطرافها. ويعتبر هذا الفن وسيلة لتثبيت الحقوق الشخصية وكسب الحقوق العينية بمختلف أنواعها الخ.

إلى أن يقول : وبالتالي «فن التوثيق» قواعد تبين لكل عاقد ما له من حقوق وما عليه من واجبات...

ثم يقول رحمه الله وللإشهاد أهمية بالغة في المجتمع الإسلامي أمر الله به عباده في عدة مواضع من الذكر الحكيم منها تعمير الذمة بالحق : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مُسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ ومنها براءة الذمة مما هو ثابت فيها ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ الخ...

2- علم الفرائض : وبالنسبة لعلم الفرائض والمواريث فقد كان رحمه الله يجيد هذا العلم ويتقنه ويدرسه لطلابه بمنهجية ممتازة وطريقة واضحة ترغب الطلاب في الجد والتحصيل وتجعلهم يهتمون بالعلم والمعرفة بالجملة والتفصيل...

حيث كان رحمه يصرح في البداية بعد البسملة وحمد الله تعالى والصلاة والسلام على الرسول الكريم : بموضوع الدرس وعناصره ومفرداته ثم يَشْرَعُ في التحليل يقرر تارة ويحاور طلابه تارة أخرى وكل ذلك مع الأمثلة والاستشهاد إلى أن يصل في آخر الحصة إلى زبدة الدرس وخلاصته وتطبيقاته، وله رحمه الله مذكرات في هذا العلم منها ما هو مطبوع : كمختصر علم الفرائض والحقوق الإرثية الذي كان يدرسه في المعهد الوطني للدراسات القضائية.

والذي يقول في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وبعد فهذه قواعد الإرث في الإسلام مزدوجة الفقه والحساب حديثة الشكل في العرض والمنهاج، سلكت فيها طريقة الإيضاح والتحصيل إلى أن قال : والله المسؤول أن ينفع بهذا المؤلف من درسه ورغب في تحصيله...

3- علم التوقيت : وبالنسبة لهذا الفن وهذا التخصص فقد قل أهله وعز من يُعلمه ويتعلمه رغم أهميته. لكن هذا الرجل بقي على صلة وثيقة بهذا العلم بل وأصبح من شيوخه بلا منازع فقد بقي رحمه الله يدرسه ويقرّبه للطلاب بطريقة سهلة ومنهجية تجعل الطلاب يفهمون ويقبلون ويشاركون في التطبيقات برغبة ومرجع الطلاب في هذا الفن والكتاب المقرر هو : المقنع وشرحه المسمى : الممتع في شرح المقنع للسوسي المرغيتي.

أما الأستاذ فكانت مصادره ومراجعه كثيرة كالإسطرلاب والربع المجيب وغير ذلك من الكتب والآلات الخاصة بتقريب وتوضيح وشرح دروس هذا الفن ومحاضراته.

4- مادة الخلاف العالي أو الفقه المقارن الذي يدرس عادة في الأقسام النهائية أو التعليم العالي.

والأستاذ رحمه الله وأثابه كان يدرس هذا العلم بكتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد.

ومن المعلوم والمسلَّم أن هذا العلم لا يسند عادة إلا إلى الأستاذ المبرز وللشيوخ والعلماء الكبار ذلك لأن هذا العلم كما يفهم من اسمه وموضوعه يعلم الطلاب والدارسين كيفية الاجتهاد وسبر أغوار النصوص وفهمها والمقارنة بينها والترجيح للقوي منها وتنزيله على الواقع ولقد بقي شيخنا تقبل الله منه يدرس هذا العلم إلى أن أقعده المرض وقبل وفاته بحوالي العام فقط.

فاللهم يسر لهذه الأمة من يخلف ويعوض مثل هذا الرجل وغيره من أهل الذكر والعلماء الأعلام. والأمل معقود على طلبتنا وشبابنا فاللهم ارحم من أدى الرسالة وبلغ الأمانة وجد واجتهد وعلم وأرشد واجعل شبابنا وطلابنا خير خلف لخير سلف. ورحم الله الفقيد وتقبل منه آمين والحمد لله رب العالمين.

فقد العلماء من غير إعداد الخلف خسارة أي خسارة؟!

ذ. محمد شركي

لبى نداء ربه العالم الجليل والوقور فضيلة العلامة الشيخ الغازي الحسيني رحمه الله عز وجل الذي كان علما شامخا من أعلام العلم في العاصمة العلمية فاس. وهذا الشيخ الجليل هو نموذج لعلماء جامع القرويين أقدم جامعة في العالم ظلت تطرد دياجير الجهل لقرون يوم كان الناس تائهين في ظلماته. ولقد ندب هذا العالم نفسه لخدمة الإسلام بأسلوب السلف الصالح في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والتيسير والترغيب. فما كان رحمة الله عليه يشق على أحد إذا ما استفتاه في أمر دينه أو دنياه، وكان يأخذ الناس باللين والرفق والرحمة والعطف. ولا زلت أذكر خطبه المتميزة بمسجد تونس بفاس وأنا طالب بكلية الآداب. ولقد كان الطلبة أمثالي يقصدون مسجد تونس من أجل الاستماع والإنصات إلى هذا العالم الجليل الذي كان على دراية كبيرة بمشاكل الأمة وهمومها. وكانت تحدث أحداث مختلفة في وطننا الغالي، وكنا نترقب الجمعة لنتابع رأي عالمها الجليل فيها على منبر الجمعة. فكم من تصورات خاطئة صححها هذا العالم الجليل بتوجيهاته النيرة الكابحة لنزق الشباب واندفاعه. ولا يمكن أن ينسى المغاربة برنامج "ركن المفتي" لفضيلة العلامة المرحوم الغازي الحسيني، وفضيلة العلامة المرحوم محمد الداودي، الذي كان يذلل الصعوبات الفقهية للشعب المغربي من خلال الإفتاء عبر الشاشة. ومع شديد الأسف وبالغ الحسرة توقف هذا البرنامج الرائد فجأة دون أن يعرف الشعب الأسباب الكامنة وراء توقفه. فكم دل فضيلة العلامة الشيخ الغازي الحسيني الناس على أبواب الخير، وكم ساهم في توبتهم، وكم أصلح ذات بينهم، وكم فرج كربهم وهم يواجهون المتاعب في حياتهم. ولقد كان رحمة الله عليه طبيبا نفسانيا بامتياز يعالج الحالات المرضية المستعصية بفضل ما آتاه الله عز وجل من حكمة وسداد وتوفيق. وكان رحمة الله عليه يسدد ويقارب، ولا ينتهر أحدا، ولا يستخف بأحد، بل كان ينطلق من أسئلة الشعب البسيطة ليروي غلة مختلف الفئات حسب مستوياتهم في القضية المسؤول عنها فينهل الجميع من منهله الغزير. وكانت له طريقة متميزة في إعادة طرح الأسئلة حيث كان يتمثل حال السائلين بطريقة ذكية من أجل الإجابة الميسرة والمحفزة، والمرغبة في تقوى الله عز وجل. وكان رحمه الله باختصار يكد ويسعى لتحبيب دين الله عز وجل للناس، وتحبيب الله تعالى لخلقه. فكم من تائب تاب على يد هذا الرجل الفاضل بعد أن كاد اليأس يبطش به، ويلقي به في متهات الرذائل. وفي الوقت الذي كان فضيلة العلامة السيد الغازي الحسيني يواصل مشوار الدعوة إلى الله عز وجل عبر منبر الجمعة والوعظ في

تتمة : 6

الكل يبكيك يا أحمد!!

ذ. عبد السلام الجميلي

هذه قصيدة في رثاء شيخنا سيدي أحمد الغازي الحسيني الفقيه الفرضي الكبير، الموقت المعدل الحيسوبي، المفتي، شيخ الشيوخ وجهبذ الرسوخ، فنسأل الله جل وعلا أن ينور قبره ويجعله في المقام ا لمحمود مع النبيئين والصديقين والشهداء.

بكت المعارف والمكارم والقِرى ... تَرْثي مؤقِّتا نال مجدا أكْبرا
وكذا الشريعة والقرويينُ ... والمحبة والسلوك لما جَرى
بكت الفوائد والنصائحُ والدرو ... سُ بجامع ألَف الفرضِي الأكبرا
جمعَ المفاخرَ والمحاسِن كلها ... فبذاك نال بعزها أوج الذرى
بسخائه ووقاره وذكائه ... وبعلمه أحيا القلوب وأنشرا
يا حَسْرتي كيف أُؤَبِّنُ راحلا ... بكت العلومُ عليه دمعا أحمرا
ذَكَرَتْ لنا فاسُ والأركا ... نُ والإفتاء ما بيدي الكمال مُصَوّرا
ولقد مضَى نَجْل الشتاء الغازيي ... وذِكْرُه عَمَّ المدائن والقُرى
ولقد بَكَتْ أرْواحُنا وقُلوبنا ... برحيل أحمَدَ كالنسيم إذا سَرى
ببلاغة وفصاحة ورزانة ... ونباهة وصل المقام الأكبرا
فبزهده ترك المظاهر والمنا ... صب واعتنى بجهاد نفس أعْصُرا
وإذا ذكرتُ الغازيين ذكْر ... تُ ابن الشتاء مُوَسَّداً تَحتَ الثَّرا
وبَوادِ فاس تُنيرُ بُدُورُهم ... ومعينُه يَشْفي الغليلَ إذا جَرى
وزُلالُه وصفاؤه ونسيمُه ... خُلَلُ الميراث مُحَقِّقاً ومُقَرِّرا
وخَريره الإبداع والإفتاء ... سحرُ الحلال وظلُ عيش أخْضرا
وأنيسه ذكر القرويين ومدحها ... نغماته ذكر المنتقات كما ترى
إن المكارم والندى والعلم في ... صُلْب الأماجِد دائما قد أثرا
وأُفُول كوكبهم معنى للْخُلدِ في ... وقت الغروب فكان ضيفا أنْورا
تَرَكَتْ مآثره لنا سنن الهدى ... وبَنَات فكر لن تَمُوت وتُقْبرَا
يارَب جَدِّدْ عليه رحمتك التي ... وَسِعَتْ جميع الكائنَاتِ وأكْثرا
وتغمَّدَنْه برحمة واسعة مع ... خير الوَرَى واجعل قِراه الكَوْثرا

لغة القرآن الكريم موضوع الملتقى الثامن للقرآن الكريم بمكناس

نظم المجلس العلمي المحلي بمكناس الملتقى السنوي الثامن للقرآن الكريم في موضوع:لغة القرآن الكريم، تحت شعار قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾(الزخرف:02)وذلك يومي السبت والأحد 6/5رجب 1433 هـ الموافق ل27/26 ماي2012م بالمركب الثقافي والإداري لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمكناس.

وتكونت أشغال الملتقى من جلسة افتتاحية وندوتين ومحاضرتين،

ففي اليوم الأول افتتح الملتقى بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، تلتها كلمة السيد ممثل الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى ، ثم كلمة السيد رئيس المجلس العلمي المحلي بمكناس، وكلمة اللجنة المنظمة، وقد عرفت هذه الجلسة تكريم بعض الحفظة للقرآن الكريم من الصغار.

انطلقت أشغال الندوة الأولى في محور: مركزية لغة القرآن في الفهم والبيان.

واشتملت الندوة على ثلاث مداخلات:

- المداخلة الأولى بعنوان : "اللغة والإنسان ودور العربية في فهم القرآن" للدكتور حسين كنوان : تناول فيها علاقة اللغة بالإنسان، وأن البيان منحة من الله تعالى،واللغة والفكر لا ينفصلان فاللغة تملي على الفرد أسلوب حياته،فلابد من التركيز على إيقاظ الهمم وصقل القلوب للشعور بالانتماء الحضاري، ثم إن لغة القرآن تتألف من بنيات معينة تقتضي السمو الذي يليق بكلام الله عز وجل، لذلك لا يعذر أحد بجهله لقواعد العربية التي تسهم في توضيح المراد الشرعي، وأشار إلى دلالات بعض القواعد النحوية والصرفية وبعض حروف المعاني التي ينبغي توظيفها في التفسير والبيان.

- المداخلة الثانية بعنوان : "عربية القرآن والبيان" للدكتور عبد النبي الدكير: بين فيها أن القرآن يخاطب الحواس جميعا لتتلقى عن الله تعالى، وصفات القرآن قد تحلى بها الرسول الكريم ﷺ، ثم بين فضل العربية على سائر اللغات لأنها لما أضيفت إلى القرآن سمت وارتفعت وحفظت بحفظه، لذلك لابد أن نجعل ولاءنا للعربية، جزءا من ولائنا للإسلام وخدمتها من خدمة الدين.

- المداخلة الثالثة بعنوان : "مسلمة اللسان وحدود التأويل" للدكتور يحي رمضان: توقف في البداية عند بعض الخصائص التي تميز القرآن كخاصية الختم فالختم انقطاع الوحي واعتراف بأهلية الإنسان بما أوتيه وما سخر له من الكون بقراءة ماسطره الخالق في القرآن وفي الكون، ومقتضى الختم تأبيد الرسالة.

أما خاصية العالمية فتتمثل في هيمنة الرسالة الخاتمة على جميع الرسائل السابقة، فلابد من الاهتمام بلغة القرآن لأنها لسان الوحي ، ومن أجل إعمالها في التأويل لابد من مراعاة مسلمة اللسان لأن الإمام الشاطبي قرر هذه المسلمة لفهم كتاب الله ، فالانحراف عن اللسان العربي في تفسير النص القرآني هو انحراف عن مراد الله في القرآن.

أما في جانب المحاضرات فقد قدم الدكتور محمد الروكي محاضرة بعنوان : "أثر علوم اللغة العربية في استنباط الأحكام الشرعية" تناول فيها أهمية الوعي بهذا الموضوع لأن العربية وعاء للشعر والأدب وبعض علومها تأسست لضمان فهم القرآن والسنة ، ولها الأثر الكبير في استنباط الأحكام الشرعية، وذكر عشر قضايا تجلي الموضوع:

1- الشريعة عربية فلا سبيل لفهمها إلا بفهم العربية.

2- العربية وعلومها شرط في الاجتهاد الفقهي.

3- أصول الفقه الذي وضع للاستنباط مستمد من العربية

4- أهم قطب مكون للأصول ينتمي إلى اللغة العربية

5- الأحكام الشرعية مودعة في النصوص ويتوقف فهم النصوص على العلم بالعربية

6- القواعد الأصولية -وهي قواعد تفسيرية- لا سبيل لإدراكها إلا باللغة العربية

7- القواعد الفقهية إدراكها يفتقر إلى اللغة العربية

8- مقاصد الشريعة لا سبيل لإثباتها إلا باللغة العربية

9- الخلاف الفقهي له صلة قوية بالعربية وعلومها.

10- فقه القرآن والسنة متوقف على العلوم المفاتيح التي تنتمي للغة العربية .

أما اليوم الثاني للملتقى فانطلقت أشغاله بالندوة الثانية في محور: لغة القرآن الكريم واقعها وكيف نستعملها

وتمت مناقشة المحور في مداخلتين:

- المداخلة الأولى بعنوان أهمية اللغة العربية في وحدة الأمة للدكتور عبد الرحيم الرحموني ، بين فيها أن اللغة أساس من أسس الوحدة الإسلامية، وأن الوحدة اللغوية للأمة قائمة على أساس أن اللسان العربي هو الجامع لسائر الشعوب، والعربية أثرت في لغات الشعوب الأخرى التي أسلمت والتي اتخذت الحرف العربي لكتابة لغاتها المحلية.

ثم انتقل للحديث عن واقع الوحدة اللغوية للأمة وآفاقها ليؤكد أن واقع العربية الحالي واقع مؤلم، لكن هناك مبشرات منها: الإقبال الكبير على تعلمها من قبل المسلمين ومن غيرهم، وأن عددا من الدراسات أثبتت أهمية العربية باعتبارها لغة المستقبل، فاللغة العربية ليست رابطا من روابط الوحدة الإسلامية فحسب بل تحقق العالمية أيضا.

- المداخلة الثانية بعنوان : "واقع اللغة العربية بين الإعمال والإهمال" للدكتور بلقاسم اليوبي، تحدث في بداية عرضه عن واقع العربية تاريخا وحاضرا وأن التاريخ سجل إشراقة للغة العربية وقوة لكن مع هذه القوة والانتشار الواسع تعرضت العربية للتفريط والإهمال، وأرجع ذلك إلى مجموعة أسباب منها :

أولا: تفريط أهلها في الاهتمام بها

ثانيا: تراجع النخب عن مواقعها الدفاعية عن اللغة العربية

ثالثا : غياب المشروع الحضاري الذي يحفظ للغة مكانتها

لذلك لابد من شروط الاسترجاع والإعمال للغة العربية منها:

- قراءة القرآن تذوقا من خلال إعمال الفكر في ألفاظه وتراكيبه ودلالته

- فهم جواهر لغة القرآن

- إزاحة الركام من الثقافات والعادات العالقة بأذهان الكثيرين لأنها تقف حاجزا أمام تذوق القرآن

- توسيع دائرة استعمالها لتشمل سائر مناحي الحياة

- تطوير البحث العلمي للرفع من قيمة العربية .

وختم الملتقى بمحاضرة للدكتور عبد الرحمان بودراع في موضوع: نحو علم للغة القرآن الكريم:علم لغة النص القرآني:

بين فيها وحدة النص القرآني وتماسك البناء وأنه بناء مرصوص ونص محكم ، وتحدث عن الانسجام في القرآن الكريم لأن جمال القرآن يبرز في كونه جملة موحدة تقوم على قاعدة التناسق وانسجام الأداة التفسيرية، فما أُجْمِل في مكان فسر في مكان آخر .

ومن مظاهر الانسجام تناسب أجزائه ليبدو النص كله وحدة متكاملة وهو ما يدخل في علم المناسبات ومنه مناسبة الآيات والتذييل والتتميم والمزاوجة بين الألفاظ كقوله تعالى ﴿هل جزاء الاحسان إلا الاحسان﴾.

ومن مظاهر الانسجام أيضا حسن النسق والمشاكلة والفصل والوصل.

وبين في الأخير أن الحديث عن مظاهر جمال القرآن علم كبير يحتاج لمهارة لفهم كنه ذلك لأنه امتاز بقوة بلاغية ويضم قضايا متنوعة، ووراء هذا التماسك تدبير محكم.

إعداد: حميد السراوي

خروج في سفينة المجتمع 13

خرق اسمه الإعلام

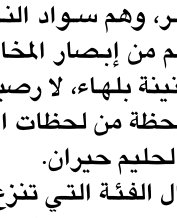

د. عبد المجيد بنمسعود

تحتاج سفينة المجتمع ضمن ما تحتاجه من مقومات، ليستقيم أمرها ويرشد إبحارها في بحر الحياة اللجي، إلى إعلام سليم، يقوم على الكلمة الطيبة والخبر الصادق والرأي السديد، فهذه العناصر هي بمثابة صمام الأمان الذي يحمي السفينة من الجنوح والضلال في ظلمات البحر، ومن الضياع في خلجانه العميقة، ومتاهاته السحيقة.

ويخطئ الخطأ الجسيم من يستهين بأمر الإعلام، ويضعه في الدرجات الدنيا من سلم قضايا المجتمع ومهماته التي تتوقف على حسن معالجتها والنهوض بها سلامة العلاقات الجارية فيه، وسلاسة الحركة في دواليبه ومفاصله.

وفئة تسقط في شرك هذا الاعتقاد السقيم تجني على نفسها وعلى قومها، وموقفها هو بين أمرين أحلاهما مر، فهي إما أن تشكو من ضحالة التفكير وقصر النظر، وإما أن تعبر عن خبث في الطوية وسوء في القصد، والنتيجة في كلتا الحالتين، لو خلي بين تلك الفئة وبين السفينة، هي الغرق الحتمي ولو بعد حين، غرق تسبقه علامات ونذر، تحمل رسالة التحذير، وتطلق صفارات الإنذار التي يسمعها البعض بكامل الحدة والوعي، ويتوجس منها خيفة، لأن ذلك البعض يعلم بحقيقتها مسبقا، لأن أفراده يمتلكون جهاز الفهم والتقدير، الذي يمكنهم من معرفة المآلات، واستشراف عواقب الأمور، ويذهل عنها البعض الآخر، وهم سواد الناس، لأن ما يرين على قلوبهم من غشاوات، يمنعهم من إبصار المخاطر المحدقة بالسفينة، فتراهم وقد خلدوا إلى طمأنينة بلهاء، لا رصيد لها في عالم الواقع، وهي سرعان ما تنقلب في لحظة من لحظات الإبحار، إلى رعب يكتم الأنفاس، وفتن هوجاء تدع الحليم حيران.

غير أن استقراء لأحوال الفئة التي تنزع نزوعا جارفا إلى أن تجعل من الإعلام وسيلة للإعدام، يكشف عن نية وسبق إصرار كامنين وراء ذلك النزوع الآثم الذي ينحسر، عبر ممارسات ماكرة، عن عمليات إبادة مأساوية، تزهق فيها الأرواح، وتكثر الجراح، التي لن تندمل بحال، فينتقل حال السفينة من سيء إلى أسوء، لأنها بسبب تسمم الأجواء بداخلها، وانتشار القيل والقال، على غير هدى ولا كتاب منير، تفقد بوصلة الإبحار، وتستعد إلى الاتجاه نحو قدرها المقدور، ومصيرها المحتوم، مصير الهوي إلى قرار سحيق.

إن العقلاء الذين انتهزوا فرصة انفتاح كوة في أفق التجدد والتغيير ذات ربيع، ليطلعوا على الناس بدفتر جديد في المجال السمعي البصري، إنما كان صنيعهم صنيع النذير العريان الذي صعد إلى أعلى قمة في البلد ليعلن لهم عن تآكل سفينة المجتمع من أطرافها ومن دواخلها، بفعل إعلام مريض، عششت من جرائه ديدان الوباء في كل زاوية من زواياها، وهي إن تركت لحالها، سوف تتحول إلى قربة مثقوبة تجرفها الأمواج إلى قاع البوار.

إن هؤلاء الشرفاء الذين حملوا الأمانة بما استطاعوا من قوة وسط الأنواء والأعاصير التي تهب على السفينة من كل حدب وصوب، إنما أرادوا فعل الممكن لإنقاذ السفينة من أيدي من أرادوا توجيهها إلى غير وجهتها الذين يصرون بكل رعونة على تركها على حالها، لتستمر في جنوحها، وتكمل رحلة التيه الذي ينتشي له هؤلاء القيمون على ثغر من الأهمية بمكان..

إن هؤلاء الشرفاء الذين صاغوا دفترهم الجديد من مادة الصدق الذي يجري في دمائهم، وأسبغوا عليه حلة الإخلاص لروح الأمة وقيمها التي تستكن بين جوانحهم، وكتبوه بمداد الأمانة والوفاء لميراث الشعب الصابر الذي أعطوه موثقهم، إنما انطلقوا من قول الله عز وجل في كتابه المبين: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾. وأبلغ به من نذير، هذا البلاغ الرباني الحكيم، الذي لا يدع مجالا للمعذرين، من السفهاء الذين أسكرتهم شهواتهم فراحوا يعربدون عبر وسائل الإعلام، عفوا بل وسائل الإعدام، بكلام فاحش بذيء، ومشاهد فاجرة يندى لها الجبين، بل بكل ما هو كفيل بنسف المجتمع من أسسه وقواعده، بسبب نسف الحياء، كمقدمة لنسف جميع الفضائل والقيم السامية التي عليها قام كيان الأمة ليطاول العصور بكل شموخ وكبرياء.

إننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأن سفينة الحضارة يمكن أن تحطم تحطيما وتنسف نسفا من أبواب عدة، ومداخل شتى، وأن من أعتى ما يمكن أن تؤتى منه من مداخل وأبواب، باب الإعلام، عندما يتحول والعياذ بالله إلى إعدام.

مع المصطفى ﷺ

د. حسن الأمراني

ورد لفظ اللباس وما اشتق منه في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة على المعنى الحقيقي وعلى المعنى المجازي. كما ورد لفظ الثياب مرات، هذا بالإضافة إلى ما يتصل بذلك مثل الجيب والجلباب والحلية والخُمُر، ومثل ذلك كثير.

وأفرد البخاري في صحيحه كتابا للباس أورد فيه عددا من الأحاديث المتصلة باللباس والثياب مما يستعمل في السلم والحرب.

وعُني الكتاني في (التراتيب الإدارية) بلباس رسول الله ﷺ وما يتصل به، فذهب يستقصي هذا الباب، ومما ذكره هناك: الخمرة، وهي كالحصير الصغير من سعف النخل يضفر بالسيور ونحوها، بقدر الوجه والكفين من المصلي، والعنَزة، كانت تحمل بين يديه ويصلي إليها، والعنزة عصا قدر نصف الرمح أو أكبر، لها ساق مثل ساق الرمح، وكان ممن يحمل عنَزة رسول الله ﷺ أنس بن مالك. ومما كان يُحمل بين يديه، بالإضافة إلى العنَزة، المخصرة والقضيب، كما ذكر الجاحظ في كتاب البيان. ومما ذكره الكتاني من لباس رسول الله ﷺ الخاتم والعمامة والمظلة واللواء. وذكر من أهل صناعة اللباس البزّازَ والنسّاجَ والخيّاط والصباغ والجلاب. ومن أراد استقصاء ذلك طلبه في موضعه ليعرف من كان صاحب العمامة، وصاحب النعلين، وصاحب العصا، وصاحب المظلة، وما إلى ذلك. وسيعرف كيف كان الرسول ﷺ يتجمل للوفود، وما الذي كان يلبسه لهم، وكل ذلك مفصّل في كتب القوم تفصيلا.

ولكن الذي يعنينا هنا هو ما كان له صلة من اللباس بالأحداث العظمى التي كان لها أثر في سير حركة التاريخ.

وأول ما نجد من ذلك ما كان له علاقة بالوحي. ومعلوم أن ظاهرة الوحي هي أعظم ظاهرة أثرت في مسيرة البشر التاريخية.

وأول ما نجد من ذلك ما نقله ابن هشام في السيرة من أن رسول الله ﷺ قال: «فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب». والنمط عند العرب ضروب الثياب المصبغة. ولا يكادون يقولون نمط ولا زوج إلا لما كان ذا لون من حمرة أو خضرة أو صفرة، فأما البياض فلا يقال نمط.

وذكر البخاري في كتاب بدء الوحي: «فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع» زملوه: أي لفوه. ولما أخبر خديجة الخبر، كما عند ابن هشام: «قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل» إلى آخر الخبر.

فالوحي ينزل في نمط، أي في ثياب مصبّغة، من ديباج. ورسول الله ﷺ يقول: زملوني، فزملوه، أي لفوه في ثياب، وخديجة جمعت عليها ثيابها، وتوجهت به إلى ورقة بن نوفل الذي أخبرها أن ما جاء محمدا هو الناموس، أي الوحي.

هل تراه؟

ثم تقوم خديجة بامتحان يبرهن على أن ما جاء هو الوحي. ففي سيرة ابن هشام، بسنده، أن خديجة رضي الله عنها «قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: يا خديجة هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس على فخذي اليمنى، قال: فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، قال: فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم، اثبت وأبشر، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان».

وفي رواية لابن إسحاق، عن عبد الله بن حسن قال: «قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ﷺ إن هذا لملك وما هو بشيطان».

وسواء أتعلق الأمر بالخمار، كما في الرواية الأولى، أم بالدرع، كما في الرواية الثانية فإنه كان في الثوب برهان ساطع على أن هذا الذي يأتي رسول الله ﷺ ملك وما هو بشيطان، إذ الحياء من شأن الملك، ولا حياء للشيطان.

دثروني:

ثم نزلت سورة المدثر وفيها: ﴿يَا أَيُّهَا المدثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾(المدثر : 1– 4).

نودي الرسول ﷺ هناك «يا أيها المزمل» ونودي هنا «يا أيها المدثر». جاء في (التحرير والتنوير): «والمزمل اسم فاعل من تزمل، إذا تلفف بثوبه كالمقرور، أو مريد النوم، وهو مثل التدثر في مآل المعنى وإن كان بينهما اختلاف في أصل الاشتقاق، فالتزمل مشتق من معنى التلفف والتدثر مشتق من معنى اتخاذ الدثار للتدفؤ» «والمدثر اسم فاعل من تدثر، إذا لبس الدثار، والدثار بكسر الدال: الثوب الذي يلبس فوق الثوب الذي يلبس مباشرا للجسد الذي يسمى الشعار» «فالوصف بالمدثر حقيقة، وقيل هو مجاز على معنى: المدثر بالنبوءة، كما يقال ارتدى بالمجد وتأزر به على نحو ما قيل في قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل﴾ أي يا أيها اللابس خلعة النبوة ودثارها».

فنداء النبي بـ (يا أيها المزمل) نداء تلطف وارتفاق ومثله قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾، والثياب قد يراد بها هنا المعنى الحقيقي وقد يراد بها المعنى المجازي. ويراد بالتطهر الحقيقي التنظيف وإزالة النجاسات، إبطالا لما كان عليه أهل الجاهلية من عدم الاكتراث بذلك، وطهارة الجسد أولى. فالصلاة لا تصح إلا بطهارة الجسد وطهارة الثياب.

وإذا أريد بالثياب المعنى المجازي فطهارة النفس، وتطهيرها اجتناب النقائص، كما في (فتح الباري). وقال سيد قطب رحمه الله في الظلال: «وطهارة الثياب كناية في الاستعمال العربي عن طهارة القلب والخلق والعمل....طهارة الذات التي تحتويها الثياب، وكل ما يلم بها أو يمسها...والطهارة هي الحالة المناسبة للتلقي من الملأ الأعلى... كما أنها ألصق بطبيعة هذه الرسالة». وهذا الإطلاق الكنائي معروف عند العرب، إذ يكنى بالثياب عن ذات صاحبها، كقول عنترة: (فشككت بالرمح الأصم ثيابه).

كناية عن طعنه بالرمح.

شرح الأربعين الأدبية (3)

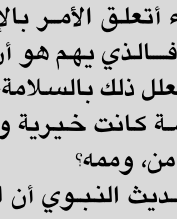

ذ. الحسين زروق

الكتاب الثاني: في سلطة اللسان

وفيه بابان.

الباب الأول: في كف اللسان، وفيه حديثان:

الحديث الثاني : في ضرورة سلامة المسلمين من لسان المسلم.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(1).

رأينا أن الحديث الأول في الباب يحض على كف اللسان لتسلم من أذاه نفس المتكلم، وسنرى هاهنا في الحديث الثاني حضا على كف اللسان ليسلم منه المسلمون.

وسبب حديث الباب أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : «أي الإسلام أفضل؟»(2)، وفي رواية عند الترمذي: «أي المسلمين أفضل؟»(3).

وسواء أتعلق الأمر بالإسلام أم بالمسلمين فالذي يهم هو أن جواب النبي ﷺ يعلل ذلك بالسلامة، فحيثما كانت سلامة كانت خيرية وأفضلية، لكن سلامة من، وممه؟

في الحديث النبوي أن السلامة المقصودة هي سلامة المسلمين؛ لأنها مرتبطة بالإسلام باعتباره القاسم المشترك، وأولُ مداخل تقويته سلامةُ العلاقات بين المسلمين، مادام «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(4)، ومادام الإيمان لا يتحقق إلا بأن «يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(5). فالهدفُ تقويةُ الصف الداخلي للمسلمين، وحماية شبكة العلاقات بينهم.

وفي الحديث نفسه أن تلك السلامة لا تكون إلا بكف المسلم للسانه ويده، وفيه أنه قدّم اللسان على اليد، ولعل علة ذلك أنه يُؤذَى به القريبُ والبعيدُ، والقوي والضعيف، والحاضر والغائب...، بخلاف اليد.

هذا عن المسلم عموما، فما بال المسلم الأديب؟!

لا ريب أنه أولى أن يكف أذى لسانه عن المسلمين، وقد رأينا أن آلة الأديب لسانه، وإنْ كتَبَ جمَع بين اللسانين، ولا تكون سلامة المسلمين منه إلا بكفه عن إشاعة الفاحشة بينهم، وهتك أعراضهم... ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾(النور : 19)، وفيه وعيد لهؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة... فكيف بمن يشيعونها؟!

المسلم الأديب مطالب بمقتضى إسلامه أن يَسلم المسلمون من لسانه، وهو مأمور بكف لسانه باعتباره مسلما غير أديب، فكيف باعتباره مسلما أديبا؟!

ولا يترك الحديث للمسلمين الأدباء عذرا عندما يشيعون الغثائية بين الناس بدعوى فصل الأدب عن الأخلاق، أو بدعوى الواقعية، أو مقتضيات العمل الفني... لأن الحديث واضح في وجوب سلامة المسلمين من أذى لسان المسلم سواء أكان أديبا أم غير أديب.

وإيذاء المسلمين هو الذي يجعل حجج أدباء أوهن من بيت العنكبوت، كهؤلاء الذين يمنحون الساقطين صفات البطولة، ويروجون الفاحشة والخلاعة بدعوى تعرية الواقع، وفضح المسكوت عنه، وتحطيم الطابوهات...، ويركزون على لحظات الضعف في الإنسان، ويطيلون المكث في المواقف المنحرفة كتدخين سيجارة، ووصف مفاتن، وشرب خمر، وتلفظ بكلمات نابية.... وإحاطة كل ذلك بما يجعله سلوكا منتشيا، وإحساسا بمتعة، وتعبيرا عن رضا نفسي...

وحسبنا -على كل حال- أن نحكم على الظاهر، وأما السرائر فأمرها إلى الله تعالى.

وأول مهاوي الظاهر أن مجرد الإكثار من ذكر الفساد لا يخلو من مفاسد: أولها أنه يعطي انطباعا بغلبته، وثانيها أنه يزرع في النفوس اليأس من معالجته، وثالثها أنه يجعل الفساد عاديا مألوفا، ورابعها أنه يؤثر سلبا في القابلية لمقاومته.

هذا عن مجرد ذكر الفساد، فكيف بتصويره في صور البطولة والشجاعة والسعادة... لا ريب أن الأمر ينتقل إلى مرتبة ترويج الفساد، وإشهاره، والدعوة إليه، ولا يهمنا بعد ذلك نية الأديب وتبريراته؛ لأننا نشاهد الأذى عيانا.

وأول مهمة للمسلم الأديب في جو أدبي فاسد أن يكف أذى لسانه عن الناس، وذلك بأن لا يشيع الفاحشة حتى وإن كانت واقعة، فإن كان ولا بد من الوقوف عندها فبقدر ما يبين قبحها، ومن تلبيس إبليس على الأديب أنه يبدأ بنية مواجهة الفاحشة فإذا به يُغْرِي بها؛ لأنه يجيد وصف تفاصيل وقوعها، ولكنه يكون أقل إجادة في التصدي لها.

وبإمكان الأديب أن ينتقل من جهد المقل إلى الشهادة على عصره بالمشاركة الفعالة والإيجابية في بناء الأمة الشاهدة، فيكون ديدنه النهوض لا السقوط، وتصوير النماذج المضيئة لا النماذج الساقطة، ومن تلبيس إبليس أن يشغلَ الأديبَ بتتبع تفاصيل السقوط، فإذا ما أراد النهوض قَصّر، ويبرع في تصوير الساقطين، فإذا ما صور النماذج المضيئة قصّر، فيصير تقصيره نفسه جزءا من الدعوة المجانية للساقطين وسقوطهم.

إلا يكف الأديب أذى لسانه عن إخوانه المسلمين تكن فتنة، وفساد كبير.

1- صحيح البخاري، حديث رقم 10، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

2- م.س، حديث رقم 11، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل.

3- صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 2504، كتاب صفة القيامة، باب. قال الترمذي معلقا عليه: "هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه من حديث أبي موسى".

4- صحيح البخاري، حديث رقم 2446، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم.

5- صحيح البخاري، حديث رقم 13، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

على الأمة السلام إذا ضاع الحياء

حكت إحدى الأخوات المثقفات وهي مؤطرة تربوية وفاعلة جمعوية تهتم بقضايا الشباب أنها لدى مثولها بين يدي مدير إحدى المؤسسات التربوية بمدينة الدار البيضاء مبلغة إياه برغبتها في إعطاء دروس تربوية للتلاميذ باسم جمعيتها بدت عليه علامات الضيق والتبرم خاصة وهو يراها تقرن القول الرصين باللباس الساتر، وكانت نفس المؤسسة قد نظمت، أياما قبل حضور تلك الأخت لإدارتها، نشاطا "فنيا" ليس بينه والفن أية علاقة، إذ كان مجرد هرج وصخب وزعيق واختلاط ماجن للتلاميذ والتلميذات، تخللته جرعات الفسوق الأكثر اجتراء..

تقول الأخت مواصلة سرد وقائع تملص معلن من درس تخليقي يتيم وسط محيط هادر من الأنشطة السطحية المثيرة للغرائز فحسب، أن السيد المدير وطاقمه تفننوا في اختلاق الأعذار لتنيها عن طرق باب المؤسسة، ونجحوا في جعلها تغير رأيها وتيمم صوب مؤسسات تربوية أخرى.

ومرت الأيام سراعا وشاء المولى سبحانه بمقتضى سننه التي لا تتخلف، أن يكشف الباطل، وتنبجس إلى العلن ثمار الشر التي زرعها السيد المدير العارف بمصالح مؤسسته، إذ حل طاقم صحفي في إطار تغطية موسعة لسلوك وعلاقات التلاميذ بالمدارس المختلطة بفضاء المؤسسة إياها، وقام بتصوير شهادات صادمة لتلاميذ وتلميذات تجاوزوا في اجترائهم ووقاحة شهاداتهم عن منظورهم للعلاقات الجنسية، كل ما يمكن أن يخطر ببال أشد المنحرفين صفاقة وابتذالا.. كل الخطوط الحمراء تم حرقها بجسارة لا نظير لها : التعاطي العلني للمخدرات... العلاقات الجنسية المباشرة.. إنكار مفهوم البكارة واعتباره متجاوزا... المثلية بنوعيها الذكوري والأنثوي..

وكانت الصور أكثر صدامية حيث بدت فيها فتيات يتبادلن حركات جنسية ساخنة بالفضاء العام وعلى مرأى من المارة..

فماذا سيقول هذا المدير المفسد، حين يقف بين يدي الله عز وجل، إذ يجد كتابه وقد أحصى كل صغيرة و كبيرة، وهل يدرك هذا المدير العاق لأمانة رعاية فلذات أكباد المواطنين، حجم الكارثة الأخلاقية التي ساهم بالقسط الأوفر في استشرائها وتفريخ مظاهرها المرعبة بعتمات المؤسسة وفضاءاتها البينة، ألا يمكن القول بكل قناعة إن ما قام به هذا المدير هو الغش بعينه مصداقا لقول رسول الله [: «من غشنا فليس منا» وقوله : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وقوله [: «أيما راع غش رعيته فهو في النار» وقوله : «من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا حرم الله عليه الجنة»(أخرجه البخاري) وفي لفظ «يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». هذا حال من رعى وحكم بين اثنين أو ثلاثة أو حتى مائة فكيف بمن كان يدير شؤون ما فوق الألف تلميذ وتلميذة وهو مستأمن على عقولهم وقلوبهم واستعداداتهم النفسية والجسمانية لخوض غمار العمران والاستخلاف؟؟.

وفي سياق آخر، هل يمكن أن نصنف ردود أفعال بعض المديرين والمسؤولين التربويين، المناهضة للخطاب الديني التخليقي وتفضيلهم غمس مؤسساتهم في الأنشطة الفلكلورية الماجنة الصاخبة، بمثابة الرمي الواضح لمؤسساتهم إلى التهلكة؟؟.

إن هذا التكاثر المريع لأحزمة الميوعة والفساد حول الثانويات ليفضح بجلاء عجز المنظومة التربوية والتعليمية بمؤطريها عن استيعاب هذا الانفلات غير المسبوق الذي يهدد بتمزيق النسيج الأسري، بل يهدد النسيج السكاني كله بالفناء، إذ أجمعت كل الدراسات الطبية الجادة على أن التعاطي لتدخين الشيشة على سبيل الذكر يورث سرطان الكبد والكلى، والشفاه لاحتكاكها المتواصل بأنبوب الشيشة، كما أن المواد التي صنعت منها آلة التدخين إياها تحوي سموما في تركيبة عناصرها، ناهيك عن معضلة الإدمان. ويعمل المروجون الكبار من الأباطرة الذين تسيرهم سياسات تدميرية خفية على إغراق السوق العربية والإسلامية على وجه الخصوص بكل أنواع المخدرات التي من شأنها زعزعة البنية النفسية لأبناء المسلمين وغمسهم في مستنقع نشوة وهمية، تكون اليقظة منها في كل مرة بعد فوات الأوان وبعد ارتكاب الجرائم الأكثر بشاعة وقسوة.

وبالمحصلة، فإن ما يحتاجه درب الحيارى والتائهين من أبنائنا لاستنقاذ أرواحهم من السقوط في فخاخ باعة الوهم، والفراديس الدنيوية المغشوشة التي تقودهم إلى الدمار الذاتي في نهاية المطاف هو الحب الحقيقي لهم.. الحب الذي يبعث على استشعار الهم والأسى لأحوالهم والتفكير بجدية وبصدق في كيفية الخروج بهم من هذا النفق المظلم الذي ينساقون إليه كما النعاج..

الهم الذي لطالما أحزن رسول الله ﷺ، وصاغ فيه المفكر الرباني المؤمن فتح الله كولن هذه الكلمات العجيبة الذبذبات.

(كان فخر الإنسانية [قبل البعثة المباركة وبعدها مفعما بالهمّ متلفعا بالغم إزاء ما يرى من شقاء مادي وضياع روحي يسود البشرية كلها. فالروايات تقول إنه كان قبل النبوة يعتزل الناس أحيانا ويخلو إلى نفسه متأملا في مشاكل الإنسانية المأزومة. أما عن مبلغ همه بعد أن تحمل مهمة الرسالة فينبه إليه القرآن العظيم قائلا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِم إِنْ لَّمْ يُومِنُوا بِهَـذَا الحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف:6)، أليست الآية ذات مغزى عميق يهز القلب هزا ويؤثر في صميم الوجدان؟ إن أخطر همنا اليوم خلونا من الهم. الهم الذي يسلبنا النوم ويقض مضجعنا ويتركنا مؤرقين عدة أيام في الأسبوع ونحن نسعي جاهدين نغرس حقائق الإيمان والقرآن في القلوب ونتطلع إلى أن يستجيب لها ضمير المجتمع الإنساني. وإذ لم نأرق بمثل هذا الهم اليوم، فسوف تنهمر علينا مهمات تحرمنا النوم غدا. والحق أقول؛ يكاد المرء يتفطر أسفا حينما لا يرى من يتفطر هما).

وأكبر الهم إخوتي أن يطالعك استطلاع صحفيين مغاربة لأوضاع شذوذ فتيات مغربيات يستعرضنه بلا أدنى نقطة حياء بالفضاء العام لمؤسسات علمية يا حسرة، وإذا ضاع الحياء فعلى العلم بل على الأمة السلام.

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

40– الصبر ملاذ

هو رجل عمرها... زوجته أكثر من عشرة... لم تستطع أي واحدة منهن أن تصبر أمام سلاطة لسانها وجبروتها.. وهي من تدفع الصداق، وتقيم حفل زفافٍ باذخ، وهي أيضا من تدفع تكاليف الطلاق... وهي من تختار الفتاة وتخطب... والابن فقط يوقع....

لا تدري من أي طينة هذه المرأة؟!

جرعتها مرارة مضاعفة عن تلك التي جرعتها لكَنّاتها السابقات... لكن المرأة لم تحرك ساكنا، ولا تبدي أي رد فعل... تفننت في الكيد لها، علها تترك البيت وتطلب الطلاق... لكن بدون جدوى، فقررت أن تواجهها بطريقة حاسمة.. أمرتها أن تعود إلى أهلها، وستحصل قريبا على ورقة الطلاق... لكن كنتها ردت بهدوء وثقة في النفس...

– أنا لست متزوجة منك... ولست هنا من أجلك... لا تنسي أني ابنة جيرانك، وأحفظ تماما كيف كنت السبب في طلاق الزوجات السابقات... أنا لم أنزل يوما إلى مستواك لأسيء إليك، لأنك بكل بساطة أمي أحترمك مهما كان...!

ومضت لحظة ثم أضافت..

– اسمعي يا خالة! كل منا جربت الهم... أنا صبرت مع يتم الأبوين، لم أر أبي قط في حياتي، وأمي توفيت أثناء إنجابي، وأنت جربت الترمل في ريعان شبابك، وصبرت فلِمَ ندع الصبر الآن، فتصبر كل منا على الأخرى... أنت أمي، وأنا ابنتك، فلِم لا نستمتع معا بحلاوة الصبر، ونعيش في سلام؟! الدنيا فانية، فلِمَ لا تحسن كل منا إلى الأخرى لنيل مرضاة الله؟!

أخرصت كلماتها لسان الحماة، فلزمت الصمت، لكنها لم تستطع قبول الأمر الواقع، فهو رجل عمرها... وحيدها الذي ضحت من أجله، وتحملت المشاق والترمل في ريعان شبابها... فكيف تأخذه منها امرأة غريبة بهذه البساطة؟!

خيرت ابنها بين السخط والرضى وبين زوجه.. لكنه هذه المرة لم يرضخ لها.

كادت تجن، فرحلت بعيدا... لكن الابن وزوجه لحقا بها وأعادها إلى البيت...

لم تستطع رؤية الحفيد الأول، ولا الحفيدة الثانية... فرحلت ثانية بعيدا... لكنها لم تستطيع تحمل الوحدة والغربة، وأخذها الحنين إلى ابنها فعادت تحمل حبها وهداياها للأحفاد، وعاشت بينهم مدللة كطفلة مسنة!

إصدارات

"**دراسات نقدية**" هو عنوان كتاب صدر للأديبة الراحلة الدكتورة صالحة رحوتي، ضمن منشورات مكتبة سلمى الثقافيةبمطبعة إنفوبرانت بفاس، وقد ضم الكتاب تسعة مقالات عالجت من خلالها الأديبة قضايا وإشكالات نقدية في الأدب والفكر العربي والإسلامي المعاصرين. مثل القضايا التالية :

1- الأدب العربي الحديث ومحنة العزوف عن التلقي.
2- الترجمة بين الانفتاح المتهور والرشد المطلوب.
3- المرجعية الفكرية للأدب العربي بين الثبات والتأرجح.
4- النشر الرقمي في المجال الأدبي خاصياته -تداعياته وآثاره.
5- مصطلح الأدب الإسلامي تداعياته وآثاره على مسار الأدب الإسلامي.
6- حرية التعبير والإبداع في المجال الأدبي.

إضافة إلى دراسات نقدية تطبيقية في فكر وأدب كل من نجيب محفوظ ومحمود درويش وتسليمة نسرين.

وقد قال الدكتور حسن الأمراني في تقديمه للكتاب : "قد أعدت الكاتبة عدتها النقدية للقيام بهذه المهمة خير قيام، ولعلها قد تغضب أنصار بعض الأدباء الكبار ممن تناولهم بالنقد، من أمثال نجيب محفوظ، ومحمود درويش، ممن يظن بعضنا أنهم فوق النقد. ولكن وجه الحق كان هو الذي يحدو الكاتبة بعدما تسلحت بكل أدوات النقد المنهجية، وقد ساعدها على القيام برسالتها إطلاعها الواسع، ومتابعتها الدقيقة، وتجربتها الموضوعية فيما تكتب وما تذر".

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما
■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 -الدكارات
فاس -المغرب

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

إعجاب الرجل بنفسه وعمله

قال الله تَبارك وتعالى: "ألم تَرَ إلى الَذين يُزَكّونَ أنْفُسَهم بَل الله يُزَكّي مَنْ يشاء".

وفي الحديث: خيرٌ من العُجْب بالطاعة أن لا تأتي طاعةً.

وقال عمرُ بنُ الخطّاب: ثلاثٌ مُهْلِكات: شُحٌ مُطاع، وهوًى مُتَّبع، وإعجاب المَرْء بنَفْسه.

وقالوا: ضاحكٌ مُعْترِف بذَنْبه خيرٌ من باكٍ مُدِلّ على ربه.

وقالوا: سيّئة تُسيئك خيرٌ من حَسنة تُعْجبك.

وقال الحسن: ذمُّ الرجل لنفسه في العَلاَنية مَدْحٌ لها في السريرة.

وقالوا: مَن أظهر عَيْبَ نفسه فقد زَكاها.

ولقي عابدٌ عابداً، فقال أحدُهما لصاحبه: والله إني أحبُّك في الله؛ قال: واللّه لو اطلعت على سَريرتي لأبْغَضْتَني في اللهّ.

وقال مُعاوية بنُ أبي سُفيان لرجل: مَن سيِّد قومك؟ قال: أنا؛ قال: لو كنتَ كذلك لم تَقُله.

وقال محمود الوراق:

تَعْصي الإله وأنت تُظْهِر حُبَّه
هذا مُحالٌ في القياس بَديعُ
لو كنتَ تضمر حبه لأطعته
إنّ المُحِبّ لمن أحَبَّ مُطيع
"في كل يوم يَبْتليك بنِعْمة
منه وأنت لشكر ذاك مُضيع

● العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي

حرمة الجار

كان للحسن جارٌ نصراني، وكان له كنيف(أي مرحاض) على السطح، وقد نقب ذلك في بيته، وكان يتحلب منه البول في بيت الحسن، وكان الحسن أمر بإناء فوضع تحته، فكان يخرج ما يجتمع منه ليلاً، ومضى على ذلك عشرون سنةً، فمرض الحسن ذات يومٍ فعاده النصراني، فرأى ذلك، فقال: يا أبا سعيد: مذ كم تحملون مني هذا الأذى؟ فقال: منذ عشرين سنةً. فقطع النصراني زناره وأسلم.

● الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي

خطبة لعمر رضي الله عنه

أيها الناس، إنه قد أتي عَلَيَّ زمان وأنا أرى أن قوماً، يقرأون القرآن يُريدون به اللّه عزّ وجلّ وما عنده، فخُيِّل إليّ أن قوماً قرأوه يُريدون به الناس والدنيا. ألا فأريدوا اللّه بأعمالكم. ألا إنما كنا نعرفكم إذ يتنزّل الوَحْي وإذ رسول اللّه بين أظهرنا يُنبئنا من أخباركم، فقد انقطع الوحي، وذهب النبي، فإنما نعرفكم بالقَول. ألا مَن رأينا منْه خيراً ظنَنا به خيراً وأحببناه عليه، ومَن رأينا منه شرّا ظنَنَا به شرّا وأبغضناه عليه. سرائركم بَينكم وبين ربكم. ألا وإني إنما أبعث عُمّالي ليُعلِّموكم دينكم وسُنَنكم، ولا أبعثهم ليَضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالَكم. ألا مَن رابه شيء من ذلك فَلْيرْفعه إليّ، فوالذي نفسي بيده لاقُصَّنكم منه.

● العقد الفريد لابن عبد ربه

من شروط الوعظ

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني أريد أن أعظ. فقال: أو بلغت ذلك!؟ إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فافعل، قال: ما هي؟ قال: قول الله تعالى: "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم". وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. وقول العبد الصالح شعيب: "ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه". أحكمت هذه الآيات؟ قال: لا. قال: فابدأ إذاً بنفسك.

● محاضرات الأدباء الراغب الأصفهاني

في الاداب مع الكتب التي هي آلة العلم

منها أنه ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراء، وإلا فإجارة أو عارية لأنها آلة التحصيل، ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظه من العلم، وجمعها نصيبه من الفهم، كما يفعله كثير من المنتحلين الفقه والحديث، وقد أحسن القائل، إذا لم تكن حافظاً واعياً، فجمعك للكتب لا ينفع، وإذا أمكن تحصيلها شراء لم يشتغل بنسخها، ولا ينبغي أن يشتغل بدوام النسخ، إلا فيما يتعذر عليه تحصيله لعدم ثمنه أو أُجرة استنساخه، ولا يهتم المشتغل بالمبالغة في تحسين الخط، وإنما يهتم بتصحيحه وبضبطه ولا يستعير كتاباً مع إمكان شرائه أو إجارته.

ومنها أنه يستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها، لما فيه من الإعانة على العلم، مع ما في مطلق العارية من الفضل والأجر. قال رجل لأبي العتاهية: أعرني كتابك، فقال: إني أكره ذلك، فقال: أما علمت إن المكارم موصولة بالمكاره، فأعاره.

وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ذلك ويجزيه خيراً، ولا يطيل مقامه عنده من غير حاجة، ولا يحشيه (أي يكتب حاشية) ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه وخواتمه، إلا إذا علم رضى صاحبه، ولا يعيره غيره ولا يودعه لغير ضرورة، حيث يجوز شرعاً، ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه، فإن كان الكتاب وقفاً على من ينتفع به غير معيَّن، فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط، وإذا نسخ منه بإذن صاحبه أو ناظره، فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه أو على كتابته، ولا يضع المحبرة عليه ولا يمر بالقلم الممدود فوق كتابه، وانشد بعضهم:

أيها المستعير مني كتاباً
ارْضَ لي فيه ما لنفسك ترضى

● تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناني

لغة:

1- في معنى "الأبّ"

الأَبُّ: الكَلأُ، وعَبَّر بعضُهم عنه بأنه المَرْعَى. وقال الزجاج: الأَبُّ جَميعُ الكَلإِ الذي تَعْتَلِفُه الماشية. وفي التنزيل العزيز: (وفاكهةً وأَبّاً). قال أَبو حنيفة: سَمَّى اللّهُ تعالى المرعَى كُلَّه أَبّاً. قال الفرَّاءُ: الأَبُّ ما يأْكُلُه الأَنعامُ. وقال مجاهد: الفاكهةُ ما أَكَله الناس، والأَبُّ ما أَكَلَت الأَنْعامُ، فالأَبُّ من المَرْعى للدَّوابِّ كالفاكِهةِ للإنسان.

قال ثعلب: الأَبُّ كُلُّ ما أَخْرَجَت الأَرضُ من النَّبات. وقال عطاء: كُلُّ شيءٍ يَنْبُتُ على وَجْه الأَرضِ فهو الأَبُّ. وقيل: الأَبُّ: المَرْعَى المُتَهَيِّئ للرَّعْيِ والقَطْع.

2- في معنى "الألو"

أَلا يَأْلو أَلْواً وأُلُوّاً وأُلِيّاً وإِلِيّاً وأَلَّى يُؤَلِّي تَأْلِيَةً وأْتَلى: قَصَّر وأَبطأَ؛

وما أَلَوْتُ ذلك أَي ما استطعته. وما أَلَوْتُ أَن أَفعله أَلْواً وأُلْواً وأُلُوّاً أَي ما تركْت.

والعرب تقول: أَتاني فلان في حاجة فما أَلَوْتُ رَدَّه أَي ما استطعت، وأَتاني في حاجة فأَلَوْت فيها أَي اجتهدت. قال أَبو حاتم: قال الأَصمعي يقال ما أَلَوْت جَهْداً أَي لم أَدَع جَهْداً. ويقال أَيضاً: ما أَلَوْته أَي لم أَسْتَطعْه ولم أُطِقْه. قال ابن الأَعرابي في قوله عز وجل: لَا يَأْلُونَكم خَبالاً؛ أَي لا يُقَصِّرون في فسادكم. وفي الحديث: ما من وَالٍ إلاَّ وله بِطانَتان: بِطانةٌ تأْمره بالمعروف وتَنْهاه عن المُنْكَر، وبِطانةٌ لا تَأْلُوه خَبالاً، أَي لا تُقَصِّر في إفساد حاله. وفلان لا يأْلُو خيراً أَي لا يَدَعُه ولا يزال يفعله. أَبو الهيثم: الأَلْوُ من الأَضداد، يقال أَلا يَأْلُو إذا فَتَرَ وضَعُف، وكذلك أَلَّى وأْتَلى. قال: وأَلا وأَلَّى وتَأَلَّى إذا اجتهد؛ يقال: هو يَأْلُو هذا الأَمر أَي يُطيقه ويَقْوَى عليه.ويقال: إني لا أَلُوكَ نُصْحاً أَي لا أَفْتُر ولا أُقَصِّر. (الجوهري):فلان لا يَأْلُوك نصْحاً فهو أَلٍ، والمرأَة أَلِيَةٌ، وجمعها أَوالٍ.

● معجم لسان العرب

أقوال حكيمة

كان يقال: أربع لا ينبغي لأحد أن يأنف منهنَّ وإن كان شريفاً أو أميراً: قيامهُ عن محلِّه لأبيه، وخدمتُه لضيفه، وقيامُه على فَرسه، وخدمتُه للعالم

وقال بعض الحكماء: إذا رغِبت في المكارم، فاجتنب المَحارم

وكَان يقال: لا تغترَّ بمودَّة الأمير، إذا غَشَّك الوزير.

وقال الأحنف: مَن لم يصبر على كلمة سمع كلمات، وقال: رُبَّ غيظٍ تجرَّعتُه مخافةَ ما هوَ أشدُّ منه.

وذُكر عند أم المؤمنين عائشة رحمها اللّه الشَّرفُ فقالت: كلُّ شرف دُونَه لُؤمٌ فاللُّؤمُ أولى به، وكلّ لؤم دونه شرفٌ فالشّرَفُ أولى به.

وقالوا: مكتوبٌ في الحكمة: التوفيق خير قائد، وحسن الخُلق خير قرين، والوَحْدة خير من جَليس السَّوء.

وكلمات أخرى بليغة

كتب بعضهم: أما بعدُ فقد كنتَ لنا كلُّك، فاجعلْ لنا بعضَك، ولا تَرض إلا بالكلِّ منّا لك.

ولما وصل عبد العزيز بن زُرَارة إلى معاوية قال: يا أمير المؤمنين، لم أزَل أستدلُّ بالمعروف عليك، وأمتطي النَّهارَ إليك؛ فإذا أَلْوَى بيَ الليل، قُبِض البَصَر وعُفِّيَ الأثَر، أقام بدني وسافر أملي، والنَّفس تَلومُ، والاجتهاد يَعذِر، فإذْ قد بلَغْتُك فقَطْني. (أي فحسبي).

● البيان والتبين للجاحظ

علماء أعلام :

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، الشهير بالحفيد

أخذ عن اللخمي وأبي محمد: عبد الحميد السوسي وغيرهما من شيوخ إفريقية ودرس أصول الفقه والدين وتقدم في ذلك فجاء سابقاً. لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أَفْقَهُ منه ولا أقوم لمذهبهم، وسمع الحديث وطالع معانيه، واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والأدب وغير ذلك، فكان أحد رجال الكمال في وقته في العلم وإليه كان يفزع في الفتوى في الطلب في بلده كما يفزع إليه في الفتيا في الفقه.

يحكى أن سبب قراءته للطب ونظره فيه: أنه مرض فكان يطبه يهودي فقال له اليهودي يوماً يا سيدي مثلي يطب مثلكم؟ وأي قُربة أجدها أتقرب بها في ديني مثل أن أفقدكم للمسلمين؟ فمن حينئذ نظر في الطب. وكان رحمه الله تعالى حسنَ الخلق، مليح المجلس أنيسه، كثير الحكايات وإنشاد قطع الشعر، وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه.

وألف في الفقه والأصول وشرح كتاب مسلم وكتاب التلقين للقاضي أبي محمد: عبد الوهاب وليس للمالكية كتاب مثله ولم يبلغنا أنه أكمله، وشرح البرهان لأبي المعالي الجويني وسماه: إيضاح المحصول من برهان الأصول.

وذكر الشيخ الحافظ النحوي أبو العباس: أحمد بن الفهري اللبلي في مشيخة شيخه التجيبي: أن من شيوخه أبا عبد الله المازري وأن من تآليفه عقيدته التي سماها: نظم الفرائد في علم العقائد وألف غير ذلك.

وممن أخذ عنه بالإجازة: القاضي أبو الفضل: عياض رحمه الله تعالى كتب له من المهدية يجيز له كتابه المسمى بالعلم في شرح مسلم وغيره من تآليفه. وتوفي الإمام رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد نيف على الثمانين.

● الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب لابن فرحون

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

الأخطاء اللغوية بين سَقَطات العلماء وتقصير المثقفين (8)

جـ- "عرض وتعليق"

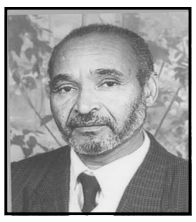

د. الحسين گنوان

توقفنا عند الفصل الثاني من كتاب اللغة العربية الصحيحة نظرا لما وجدناه فيه من تعابير لنا فيها وجهة نظر، وقد عرضنا تلك التعابير مُذيّلة بما نراه يقنع من الحجج التي تثبت عدم سلامتها، وكان استغرابنا كبيراً فيما يتعلق بوجود مثل هذه الأخطاء في عمل مؤلف موسوعي مثل المرحوم الدكتور أحمد عمر مختار، لكن هذا الاستغراب سرعان ما زال أو كاد، بعدما اطلعنا على جانب من سيرة المؤلف الذاتية يرحمه الله، فالرجل له غيرة كبيرة على اللغة العربية، حيث ألف أكثر من ثلاثين كتاباً، ونال جوائز تقديرية كبرى على أعماله الجليلة، وعين عضوا في مجمع اللغة العربية، وتقلد عدة مناصب في عدة دول عربية، وله عشرات البحوث العلمية... وعليه فنظراً لما ذكر، وما لم يذكر من سيرته نرى أن انشغالات عالمنا الكبير، قد تحول أحياناً دون مراجعة بعض أعماله عندما تقدم للطبع ولذا يقع فيها من الأخطاء مثل ما لاحظناه في الفصل الثاني من الباب الأول، هذا بالإضافة إلى أن الرجل متمكن من اللغة الإنجليزية حسب ما يفهم من قوائم المراجع التي ذيل بها الباب الأول من الكتاب المذكور، الأمر الذي يسمح بتسرب شذرات من قواعد تلك اللغة إلى اجتهادات المؤلف في بعض مسائل اللغة العربية، مما نرى أنه لا يتلاءم مع خصوصية اللغة العربية، ومع ذلك فإن الكتاب يتضمن فصولا ذات قيمة توجيهية جيدة فيما يخص أزمة اللغة العربية وكيف يمكن تجاوزها، من ذلك قوله في الفصل الرابع من الباب الأول : «أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة إلى حلول غير تقليدية» ص 43، وفي هذا الفصل يقول : **«تخوض اللغة العربية المعاصرة معركة مريرة من أجل البقاء بعد أن هجرها أهلها، أو انحرفت بنطقها ألسنتهم، وبعد أن توارت في دوائر الحكومة، وفي المدارس والجامعات، وبعد أن انحسرت في ساحات القضاء والبرلمان، والخطابة السياسية والدينية... فصارت كالغريب في وطنه مما جعل كاتبا كبيراً مثل الأستاذ أحمد عبد المعطي حجازي يختار (لإحدى) مقالاته في صحيفة الأهرام (1966/6/12) عنوانا مُثيراً هو «الفصحى.. هل أصبحت لغة ميتة؟».**

وجعل كاتبا أكاديميا مرموقاً هو الأستاذ الدكتور أحمد هيكل يخصص سلسلة من مقالاته الأسبوعية بالأهرام لمناقشة مشكلات لغتنا القومية يخلص فيها إلى أنّ وضعنا أوشك أن يمثل خطراً حقيقياً يهدد وجودها، وينذر بمستقبل غير مطمئن لثقافتنا وحضارتنا، وقوميتنا ودِيننا»الأهرام 1- 1966/6/5).

وإنه لمما يبعث على الدهشة أن تكون للغة العربية كل هذه المكانة، وأن يكون لضعفها كل هذه الآثار السلبية ثقافياً وحضارياً، وقومياً، ودينيا، ثم لا يكون هناك تحرك إيجابي، فردي أو جماعي، أو مؤسسي أو حكومي ودون أن يوجد شعور بالاستفسار العام لإنقاذ اللغة العربية من محنتها، وإخراجها من أزمتها.

وإذا كان كثيرون ممن تناولوا القضية قد طرحوا عدداً من الحلول، أو عرضوا بعض التصورات فإن معظمهم قدم حلولا تقليدية، وبعضهم سطح القضية حين اكْتفَى بإلقاء اللوم على مناهج التعليم أو على معاهد اللغة العربية وكلياتها.

والأمر أعمق من هذا بكثير لأنّه يحتاج إلى ترْسيخ عدد من القيم الأساسية، وتصميم عدد آخر من المفاهيم الخاطئة، ثم بعد ذلك تأتي الاقتراحات والحلول.

فمما يجب ترسيخه أولا : إذْكاء الشعور الوطني والديني لدى أبناء الأمة العربية، وبث روح الغيرة على اللغة العربية في نفوسهم، والتعامل معها لا على أنها مجرد وسيلة للتفاهم، وإنما باعتبارها عنوان هويتنا، ووعاء ثقافتنا، وغايتنا في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

ولن أذهب بعيداً في ضرب الأمثلة من اللغات الحية الأخرى، وإنما سأكتفي بضرب مثال واحد من اللغة العبرية الحديثة التي لم تحقق ما حققته من مكانة عن طريق القسر أو الضغط، أو الإكراه من أفراد ومؤسسات، وإنما قامت من مرقدها، ودبت فيها الحياة في الأعوام الأخيرة لتكون اللغة الوطنية (لدوْلة إسرائيل) نتيجة لتنامي الشعور الوطني، والإرادة الجماعية لليهود سواء المتكلمون منهم باللغة العبرية، أو المتكلمون بغيرها من المهاجرين الجدد، والاعتزاز بالذات من أفراد المجتمع الذي يستخدمها.

تم إحياء اللغة العبرية من خلال إرادة جماعة المتكلمين، وليس من خلال القرارات المجمعية (أنشئت أكاديمية اللغة العبرية في (إسرائيل) عام 1953) أو المراسيم الحكومية، أو سياسة الأمر الواقع، وحين كانت اللغة العبرية تصادف بعض المقاومة كان الانتصار لها ياتي من الأفراد، ومن ضغط الرأى العام الذي يتحيز للغة العبرية، ويعتبرها جزءاً أساسيا من كيانه ووجوده، وقد حدث هذا عند إنشاء «معهد التكنولوجيا» في حيفا، فقد ثار جدل حول استخدام اللغة الألمانية في البحث والتدريس فيه، ولكن انتصرت اللغة العربية لا بتشريع، ولا بقوة قانون، ولكن بقوة الضغط الجماهيري وبخاصة ضغط "اتحاد المعلمين".

وما يلفت النظر في التجربة اليهودية : السرعة المذهلة في تنفيذها، وفعاليتها وشمولها بدرجة جعلت هذه اللغة شبه الميتة -في وقت قصير لا يزيد على مائة سنة- هي لغة الحياة، ووسيلة الاتصال داخل الدولة الحديثة، ووافية بالمراد لكل الأفراد من كل الجنسيات، ولجميع الأغراض، سواء كانت اجتماعية أو تقنية في مجتمع متقدم.

وقد تم إحياء اللغة العبرية من خلال إرادة جماعة المتكلمين، وليس من خلال القرارات المجمعية (أنشئت أكاديمية اللغة العبرية في (إسرائيل) عام 1953) أو المراسيم الحكومية، أو سياسة الأمر الواقع، وحين كانت اللغة العبرية تصادف بعض المقاومة كان الانتصار لها ياتي من الأفراد، ومن ضغط الرأى العام الذي يتحيز للغة العبرية، ويعتبرها جزءاً أساسيا من كيانه ووجوده، وقد حدث هذا عند إنشاء «معهد التكنولوجيا» في حيفا، فقد ثار جدل حول استخدام اللغة الألمانية في البحث والتدريس فيه، ولكن انتصرت اللغة العربية لا بتشريع، ولا بقوة قانون، ولكن بقوة الضغط الجماهيري وبخاصة ضغط "اتحاد المعلمين".

ومما يجب ترسيخه ثانيا : الإيمان بأن المشروعات البحثية، والتطبيقية اللغوية تدخل في مجال المشروعات القومية من ناحية، والاستثمارات الاقتصادية من ناحية أخرى، وتمثل اللغة الإنجليزية هذه النظرة المزدوجة خير تمثيل بما أنجزه أهلها حولها، من مشروعات لغوية تطبيقية وما أصدروه من برامج تعليمية مختلفة، ومعاجم متنوعة بتكلفة تبلغ المليارات...»ص 43- 44، اللغة العربية الصحيحة.

شخّص المؤلف فيما أوردناه له بعض معالم أزمة اللغة العربية، واقترح لها بعض ما يراه من حلول، لكن يبدو لنا أن ما يساعد على تعقيد الإشكال إلى درجة استعصائه على الحل هو اختلاف رؤى الغيورين على اللغة العربية ومنطلقاتهم وأهدافهم نتيجة تنوع العوامل المؤثرة في بناء شخصياتهم وذلك ما نلمسه في بعض عبارات المؤلف مما سبق ذكره له من ذلك قوله :

- في عنوان الفصل المذكور «أزمة اللغة العربية المعاصرة والحاجة إلى حلول غير تقليدية» فالكلمتان : «المعاصرة» و«غير تقليدية» تخفيان وراءهما من المعاني ما يجعل فئات أخرى من شرائح المجتمع العربي متوجسة من مثل هذه الحلول التي يقترحها المؤلف، ومثل هذا قوله : «تخوض العربية المعاصرة معركة مريرة» وقوله «بعضهم قدم حلولا تقليدية» وقوله : «وتصحيح عدد من المفاهيم الخاطئة ثم بعد ذلك تأتي الاقتراحات والحلول»، فماذا تعني المعاصرة اللغوية عند المؤلف؟ وماذا تعني الحلول التقليدية، والمفاهيم الخاطئة؟!

إن هذا الذي ينتقده المؤلف يرحمه الله بالنسبة لآراء فئات اجتماعية تخالفه الرأي والنظر لواقع اللغة العربية، يمكن أن يقال ضده بشكل من الأشكال، وهكذا تتراوح مقترحات الحلول بين الهدم والبناء، وهذا عين الإشكال بالنسبة لمحاولة الإصلاح أي إصلاح في الوطن العربي!

أما ضرب المثل (بإسرائيل) بخصوص إحيائها لغتها في ظرف وجيز لعل العرب يقتدون بها، فيبدو لنا أنه لا قياس مع وجود الفارق -كما يقال-.

أ- فارق الرابطة الدينية والقومية عند الإسرائيليين واختلال ذلك أو انعدامه عند جل العرب.

ب- فارق حب الوطن بالنسبة للإسرائيلين والهجرة إليه من مختلف الجنسيات في العالم، مقابل هجرة السواعد والأدمغة من الوطن العربي.

جـ- فارق حب اللغة العبرية والدفاع عنها مقابل إعراض العرب عن لغتهم في شتى المجالات.

د- فارق الاهتمام بالبحث العلمي حيث يخصص له من ميزانية الدولة 3.5٪ مقابل إهماله في الوطن العربي حيث يخصص له 1٪ فما دون.

-يتبع-

بِنَبْضِ القلب

في جماليات التواصل الأسري

خلق الله الرجل والمرأة وألقى في دواخلهما المحبة، وربط بينهما برباط مقدس ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ غير أن هذه الرابطة الربانية توشك في كثير من الأحيان أن تنفصم لأتفه الأسباب، وغالبا ما يكون وراء ذلك غياب التواصل البناء بين طرفي الرباط، أي الزوج والزوجة، الشيء الذي يجعل كليهما يبحث عمن يبوح له بمشاكله مادامًا عاجزين عن الاستماع لبعضهما البعض، تحضرني قصة طريفة وقعت بإحدى قرى المغرب المنسي، حيث كانت نسوة أحد الدواوير الموغلة في الفقر تقطع خمس كلومترات وهن يحملن الجرار لجلب الماء، وفي زيارة لإحدى الجمعيات لهذا الدوار رأت ما تعانيه النسوة فعملت على جلب الماء الشروب إلى الدوار وظنت أنها قدمت خدمة لا تنسى لنسائه، غير أن ما حدث لم يكن في الحسبان، فقد اكتشفت الجمعية ومعها ساكنة الدوار أن صنابير المياه تم إتلافها ليلا من قبل مجهولين، فظن البعض أن الفقر دفع بعض شباب الدوار العاطلين إلى نزع الصنابير النحاسية لبيعها والاستفادة من ثمنها، فقرروا استبدال الصنابير النحاسية بأخرى حديدية غير ذات قيمة، غير أن الأمر تكرر وبنفس الطريقة، فاحتار نشطاء الجمعية، من يقف وراء إتلاف الصنابير، فوضعت كاميرات مخفية، فكانت المفاجأة، إنهن النسوة أنفسهن من قمن بهذا العمل التخريبي، مع العلم أن الهدف من هذه العملية هو مساعدتهن ولما حاولت الجمعية من خلال نشطائها معرفة السبب وراء ذلك، عرفوا أن النساء فعلن ذلك لكونهن حرموا من تلك اللحظات التي ينفسن فيها عن أنفسهن وهن ذاهبات ورائحات إلى النبع، وأن ذلك التعب الذي يراه الآخرون كان بالنسبة إليهن المتنفس الوحيد لبث همومهن لبعضهن البعض، لأن الرجال لم يكونوا ينصتوا إليهن أو يلتفتوا لهمومهن، من ثم عرف نشطاء الجمعية أنه ليس المهم أن تفعل شيئا لصالح الآخرين، بل لابد من الاستماع إليهم وإشراكهم قبل أخذ أية مبادرة، وكان من آثار هذه الحادثة الغريبة أن تشكلت جمعية حملت اسم "الصنابير المتلفة» فيا أيها الأزواج اصغوا إلى زوجاتكم، ويا أيتها الزوجات بوحوا لأزواجكم قبل فوات الأوان.

ذ. أحمد الأشهب

شيء عن اليهود في تاريخنا (3/2)

أ. د. عماد الدين خليل

وجاء الراشدون رضي الله عنهم لكي يشهد المجتمع الإسلامي تنفيذاً في العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغيرهم لا يقلّ تفرّداً وتألقاً عما شهده عصر الرسالة. فلقد كان العصر الجديد عصر الفتوح والامتداد الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، وتحوّل الدولة الإسلامية إلى دولة عالمية.. وكانت مساحات واسعة من الأراضي التي بلغها الإسلام تضمّ حشوداً كبيرة من اليهود والنصارى والمجوس والطوائف الدينية الأخرى.. لقد أصبح المجتمع الإسلامي بحركة الفتح هذه مجتمعاً عالمياً ضم جناحيه على أعداد كبيرة من الأجناس والأديان والأقوام والجماعات والمذاهب والفرق والاتجاهات..ولقد حظي اليهود - أسوة بغيرهم- بمساحة مدهشة من العدل والحرية والسماحة وتكافؤ الفرص، فيما لم يشهدوا عشر معشاره في أية بقعة أخرى في الأرض خارج دار الإسلام.. ويكفي أن نرجع إلى كتاب المؤرخ البريطاني المعروف السير توماس أرنولد : "الدعوة إلى الإسلام" لكي نضع أيدينا على حشود الشواهد التاريخية في هذا المجال..

في العصر الأموي، والعصور العباسية التالية، حيث ازداد المجتمع الإسلامي تعقيداً واتساعاً، وحيث أخذت منحنيات الإبداع الحضاري تزداد صعوداً واطرادا، وتزداد معها المؤسسات الإدارية نضجاً ونمواً، أخذ الموقف من غير المسلمين يتألق بالمزيد من صيغ التعامل الإنساني أخذاً وعطاءً.

لقد فتح المسلمون، قواعد وسلطة، صدرهم لغير المسلمين، يهوداً ونصارى ومجوساً وصابئة، وأتاحوا للعناصر المتميزة من هؤلاء وهؤلاء احتلال مواقعهم الاجتماعية والوظيفية في إطار من مبدأ تكافؤ الفرص لم تعرفه أمة من الأمم عبر تاريخ البشرية كلّه. لقد أسهم غير المسلمين في صنع الحضارة الإسلامية وإغنائها، دونما أية عقد أو حساسيات من هذا الجانب أو ذاك، كما فتح الطريق أمامهم للوصول إلى أعلى المناصب، بدءًا من الكتابة في الدواوين وانتهاء بمركز الوزارة الخطير نفسه، وأتيح لأبناء الأديان والمذاهب الأخرى، بما فيهم اليهود، أن يتحركوا في ساحات النشاط الاقتصادي والمالي بحرية تكاد تكون مطلقة، فنموا ثرواتهم وارتفعوا بمستوياتهم الاجتماعية، بما يوازي قدراتهم على العمل والنشاط، وملأوا بهذا وذلك مساحة واسعة في ميدان النشاط الاقتصادي والمالي جنباً إلى جنب مع مواطنيهم المسلمين، بل أن بعض الأنشطة المالية والاقتصادية كادت أن تصبح من اختصاص أهل الكتاب، تماماً كما كانت الترجمة في المجال الثقافي من نصيبهم، وكما كانت بعض الوظائف الإدارية والكتابية من نصيبهم كذلك.

إنه مجتمع تكافؤ الفرص، والحرية العقدية، والانفتاح.. لقد استجاب المسلمون لتحديات التنوّع الديني، وكانوا في معظم الأحيان عند حسن ظن رسولهم ﷺ بهم وهو يوصيهم قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى، أن يكونوا رفقاء بأهل ذمته.

الوقائع كثيرة، تيار من المعطيات التاريخية نفذت في ساحة المجتمع الإسلامي عبر القرون الطوال، وعلى مختلف الجبهات، ووفق سائر الاتجاهات الحضارية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية عموماً..

لقد تمتع أهل الذمة بقسط وافر من الحرية، لقاء تأديتهم الجزية، وارتبطت قضاياهم في أمورهم المدنية والجنائية برؤسائهم الروحيين، وأقاموا في مزارعهم ومنازلهم الريفية، وتمسكوا بتقاليدهم الثقافية وحافظوا على لغاتهم الأصيلة.. وفي المدن تقلدوا مناصب هامة في دوائر المال والكتابة والمهن الحرّة.. وكان للعهدين القديم والجديد من التوراة والإنجيل ترجمات عربية معروفة. ولقد لقي اليهود من محاسن المسلمين فوق ما لقيه النصارى. وقد وجد المقدسي سنة (985 م) أن أكثر الصيارفة وأرباب البنوك في سورية من اليهود. ونرى في عهد عدد من الخلفاء وأخصّهم المعتضد العباسي مراكز هامة في الدولة لليهود، وكان لهم في بغداد أحياء وأسواق كبيرة ظلّت مزدهرة حتى سقوط المدينة، وقد زارها الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي حوالي سنة (1169 م) فوجد فيها عشر مدارس للحاخامين، وثلاثة وعشرين كنيساً، وأفاض بنيامين في وصف الحفاوة التي لاقاها رئيس اليهود البابليين من المسلمين، بصفته سليل بيت داود النبي عليه السلام ورئيس الملة الإسرائيلية. وقد كان لرئيس الحاخامين هذا من السلطة التشريعية على أبناء طائفته ما كان للجاثليق على جميع النصارى. وقد روي أنه كانت له ثروة ومكانة وأملاك طائلة فيها الحدائق والبيوت والمزارع الخصبة. وكان إذا خرج إلى المثول في حضرة الخليفة ارتدى الملابس الحريرية المطرزة وأحاط به رهط من الفرسان، وجرى أمامه ساعٍ يصيح بأعلى صوته: "أفسحوا درباً لسيدنا ابن داود"!!

الرقي

ذ. فتح الله كولن

إن رقي أي أمة وتقدمها مرتبط بمدى التربية التي تلقاها أفرادها من الناحية العاطفية والفكرية. فلا ينتظر تقدم أمة لم تتوسع آفاق أفرادها الفكرية والجوانية.

من شروط تقدم الأمة وصول أفرادها إلى وحدة الهدف والغاية. فلا يمكن توقع تقدم صحيح وسليم في مجتمع انقسم أفراده شيعاً وطوائف متناحرة.

الأجيال التي لم تتلق تربية موحدة، بل نشأت وغذيت بثقافات مختلفة لا بد أن تنقسم إلى معسكرات مختلفة ومتعادية. لذا فتوقع تقدم أمة هذه حالها إن لم يكن مستحيلاً تماماً فهو صعب صعوبة كبيرة.

يبدأ كل تقدم بفكرة معينة وتصور معين، ثم يتم قبول هذه الفكرة من قبل الجماهير، ثم تتحقق بجهود الأفراد المتكاتفين معاً في هذا السبيل. ولكن إن لم يكن للعلم نصيب في تخطيط هذه الفكرة، أو لم يسمح للعلم بذلك، فكل جهد وكل تعبئة عامة لإنجاحها محكوم عليها بالفشل.

من شروط تقدم الأمة وصول أفرادها إلى وحدة الهدف والغاية. فلا يمكن توقع تقدم صحيح وسليم في مجتمع انقسم أفراده شيعاً وطوائف متناحرة.

كل ما يؤدي إلى تحسن وزيادة جمال وزيادة نظام وزيادة فضل يُعد رقياً لذلك الشيء. أي الاكتفاء بالموجود كسل وبلادة. أما تجاوز الموجود إلى الأحسن وإلى الأفضل فهو الرقي.

تحويل السهول الخضراء والبساتين اليانعة إلى سهول وأراضٍ جرداء وإلى مزابل يعد تدنياً وتراجعاً للوراء. أما تحويل الأراضي الجرداء والمزابل إلى سهول خضراء وإلى بساتين غناء فهو تقدم ورقي.

ممالك الأمم المتقدمة جنات، وجبالها غابات خضراء، ومعابدها كالقصور، بينما مدن الأمم المتأخرة خرائب وشوارعها مزابل ونفايات، ومعابدها تفوح منها روائح العفونة والوساخة.

مع أهمية انتشار القراءة والكتابة ودورهما الكبيران في رقي المجتمعات إلاّ أنه إن لم يتم تربية الأجيال بثقافتها الملية وحسب اتجاه معلوم فمن الصعب نيل النتائج المرجوة.

كل محاولة وحملة للتقدم تمر من التقييم الجيد للوضع الحالي مع الاستفادة من تجارب الأجيال السابقة وإعطاء أهمية لتلك التجارب. وإلاّ فإن الأجيال القادمة إن اتبع كل واحد منها طريقاً دون الالتفات إلى تجارب السابقين، فإن هذا التصرف يكون تصرفاً صبيانياً، لأنه يؤدي إلى تأخر الأمة ويمنع تقدمها ويعرقلها.

بارقة

نحن الأكبر = نحن الأغبى

أ.د. عبد السلام الهراس

يقاس تقدم الأمم ونهضتها بما تحققه من الاختراعات في الميادين كلها وبما تمتلك من عناصر القوة : العلمية والاقتصادية والصحية والسياسية والاجتماعية، وبما أنجزته من حقوق الإنسان ومن الحفاظ على قيمة الوقت وبما أوتيت من عبقرية لتجديد نفسها وتطوير وسائلها بما يؤهلها دائماً أن تكون في المقدمة حالاً واستقبالا.. لذلك فإننا نقرأ ونشاهد ونسمع عبر خريطة العالم المتقدم أنه يسابق المستقبل ويطلع علينا دائماً بالجديد في ميادين الاختراعات والاكتشافات والتنظيمات والترقية الإدارية والمناهج التعليمية..

أما نحن -العرب- فنحن الأوائل والأكابر في مجالات البصائر المطموسة والفتن الداخلية والغلول وتدمير البيئة وانتهاك كرامة الإنسان والتعقيدات الإدارية والتخلف في المناهج العلمية والمدرسية، وارتفاع نسب الأمراض المختلفة وانتشار الغش وترسيخ الظلم واستفحال البناء العشوائي وانعدام الجودة في الإنتاج وتراجع الإبداع الأدبي وتولية البلداء والانتهازيين للمسؤوليات الجسام إلى غير ذلك من الأعراض الناتجة عن فساد القلب وتعفن الضمائر وتغلغل الجهل.

وبما أصبحنا نفتخر به نحن العرب مزاحمتنا للعالم المتقدم والمتحضر بتسجيل اختراعاتنا الكبرى في مجال البطن : فقد سجلنا في كتاب گنيس : أننا اخترعنا أكبر سلسلة ذهبية في العالم وأكبر صحفة كسكس في العالم وأكبر باقة ورود في العالم وأكبر كبسة في العالم (الكبسة : طعام من الرز ولحوم الخراف والبهارات والصنوبر واللوز وغير ذلك).

وقد حقق عربي أكبر سرير في العالم..

ولاشك أننا أصبحنا نحظى بلقب أكبر سفهاء العالم وأكبر المبذرين في العالم وأكبر أغبياء العالم..

فاللهم لا تواخذنا بما فعل السفهاء منا وهيئ لنا يارب قيادات تتجاوب مع أمتها العظيمة وتسوسها بالعدل وتنفق أموالها فيما يعود عليها بالخير العميم وتنقذهامن الدرك الأسفل الذي وصلت إليه حتى تسجل هذه الأمة في الكتاب الحق بأنها : ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾.